

المقابر

الضوء اللامع

من كتب التراجم الممتعة التي تجمع بين الفائدة واللذة هذا التاريخ لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن الملقب بشمس الدين السخاوي الأصل القاهري تكلم فيه على رجال عصره بما اعتنقه فيهم وأطلق لقلبه العنان أيما إطلاق حتى لتفاته لا يعرف غير المهجاء مذهبا وكشف عورات أهل جيله وقبيله مشربا .

قال في كشف الظنون : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعائة رتبة على الحروف وقد صنف السيوطي في رده مقالة سماها الكاوي في تاريخ السخاوي وشنع عليه فيها واتقبه الشيخ زين الدين عمر بن احمد الشعاع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦ ست وثلاثين وتسعائة وسماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي والشهاب احمد بن العز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١ احدى وثلاثين وتسعائة وسماه البدر الطالع من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع واختصره الشيخ احمد القسطلاني وسماه النور الساطع في مختصر الضوء اللامع

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة صحيحة من هذا الكتاب ربما كانت اصح نسخة في سورية بل في سورية ومصر وهي في نحو ثلاثة آلاف صفحة كبيرة بخط وسط وقعت في خمس مجلدات ضخام . والمؤلف عالم من علماء الحديث وغيره وله مصنفات أخر وترجم نفسه Autobiographie في كتابه وقد جرت عادة كثير من الاعلام ان يترجموا انفسهم من غير تكبر فما قاله انه اخذ عن ديب ودرج وذلك لانه ارتمل من القاهرة على عادة العلماء لان الرحلة ولا سيما للمحدثين

والمؤرخين من لوازمهم وحج فر علكى الينبوع وعقبة ايلة ورايح وخليص ثم ارتحل الى حلب ماراً بيليس وقطيا وغزة والمجدل والرملة وبيت المقدس والخليل ونابلس ودمشق وصالحيتها والزبداني وبعبك وحمص وحماة وسرمين وحلب ومرة ايضاً بطرابلس وبرزة وكفر بطنا والمزة وداريا وصالحية مصر

وله تصانيف كثيرة في الحديث ومنها تراجم من اخذ عنهم في ثلاثة مجلدات سماه بغية الراوي بن اخذ عنه السخاوي وفهرست مروياته سيفه ازيد من ثلاث مجلدات والذير المسبوك في الذيل على تاريخ المقرئ في نحو اربعة اسفار والضوء اللامع الذي نحن بصدد الكلام عليه ويكون ست مجلدات بحسب تقديره . والذيل على قضاة مصر نسخة في مجلدة والذيل على طبقات القراء لابن الجزري في مجلد والذيل على دول الاسلام للذهبي والوفيات في القرن التاسع وترجمة نفسه والتاريخ المحيط وهو في نحو ثمانية رزمة على حروف المعجم قال انه لا يعلم من سبقه اليه . وطبقات المالكية اربعة اسفار الى غير ذلك من الشروح والتلاخيص ولد سنة ٨٣١ وقد استغرقت ترجمته نفسه في كتابه هذا ١١ ورقة ونصف ورقة ولم نرفيه اكبر منها

وفي هذا الكتاب من المشاهير الناشري وبرايم بن ظهيرة والبقاعي والبرهان الطرابلسي واهم الكوراني وابن الهام وابن الشحنة والمقرئ والحافظ ابن حجر وابن عربشاه وتيمونك والقاضي زكريا والحافظ العراقي وابن خلدون والجلال البلقيني والجلال السيوطي . وفيه من غير هذه الطبقة ايضاً طرف صالح جداً منهم من نسب الى بلده ومسقط رأسه ومنهم من اشتهر بالقباء اُخرى فتقع فيه على تراجم البعلبكي والعجلوني والطنبوبي (نسبة لبلدة من اقليم المنوفية بمصر) والادفوي والزنگوني والمنوفي والاسنوي والقوصي والديماطي والبوصيري والسمنودي والاسيوطي والسناطي والاشموني والموي والمنفلوطي والفارمكوري والبنهاوي والبيجوري والمنشاي والرشيدى والسكندري والاذرعي والعماري والبقاعي والسقطي (من سقط الحنايف شرقية مصر او سقط قلشاً من البحيرة) والديروطي والغافوسي والحلي والدمهري والابخمي والابشهي والقلبي والعاهري والناوي والحلاوي والكركي والشوكي . والصعيدى والليناني والبليسي والبصري والصيداوي والديوي والزفاوي والبلقيني (نسبة لبلقينة في الغربية) والاسراني والجعبري (نسبة لقائمة جعبر من بلاد حلب) والحصي

والحموي وغير ذلك من الاعلام الذين نشأوا من قرى مصر والشام ومدينها في ذلك القرن .

بل وتجد فيه ما هو اغرب واعجب من تراجم امراء الجراكسة والمتقدمين في حكومة تلك الايام امثال قاتيباي احد ملوك مصر ترجمه في ست ورقات وقشمر وقطبلايه وقطليك وقطلوبغا وقطج وقرقاس وقراجا وقراسنقر وقربلوك وقرا يوسف وقراقبا وقاتباي وقارب يرديه وقانصوه وقاينك وقانم وكانور وكثبغاواق سنقر ولاجين ومنكلي بغا والطبغا وامثالهم من لا تضرهم على ذكر في غير هذا السفر الحواوي وتروجم كثيراً من العامة وارباب الاحوال والنساء واورد بعض اشعارهن ومنها الجيد مثل شعر فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمد ابن شيرين الحنفي وقد كتبت الى المؤلف بعد مجيء الخبر بموت اخويه من نظمها

قفا واسعا مني حديث احبتي فاوصاف معنهم عن الحسن جلت
اناس اطاعوا الله نارت قلوبهم وابصرت الاشياء من غير نباءة
وقد كوشفوا عن كل ما اضمحل الغنى ونارت قلوب منهم وبصيرة

وهالك ما قاله السخاوي في مقدمة كتابه وفيها الغرض الذي يرمي اليه :

الحمد لله جامع الشئات ورافع من شاء في الحياة وبعد المات ومقبل المتقبل على الاكثار من الطاعات من ذوي اليات من بعد ما مله صدر عنه من الزلات وقابل توبة من اخلص ورجع عما اقترف من البليات سببا الصادرات في الصبا الغالب معه ترك النظر في العاقبات فضلا عما نأ في الطاعات الى ان قال : وبعد فهذا كتاب من اهم ما به يعتنى جمعت فيه من عملي من هذا القرن الذي اوله سنة احدى وثمان مائة ختم بالحنى وسائر العلماء والقضاة والصلحاء والرواة والادباء والشعراء والخلفاء والملوك والامراء والمباشرين والوزراء مصر يا كان او شاميا حجازيا او يمانيا وروما او هنديا مشرقيا او مغربيا بل وذكر في بعض المذكورين بفضل ونحوه من اهل الذمة اقتفاء في اكثرهم (؟) لمن اصفقتهم اليه في غزوه لانه اجتمع لي منهم المم الغفير وارتفع عني اللبس في جمهورهم الا اليسير مستوفيا من كان منهم في معجم شيخنا واثبائه وتاريخي العيني والمقريزي سببا في عقودهم التي رتبها النجم ابن نهدي مع اصله القامبي والطبقات والوفيات المدونة والتراجم كشيوخ ابن فهد النقي وولده تخريجه وغيرها من المعاجم وما علقته من مجاميع مفيدنا الزين رضوان او رأيت في استدعالت ابن شيخنا ونحوه من الاعيان وسائر

من ضبطته ممن اخذ من شيخنا او عني او اخذت عنه، ولو لم يكن كبيراً عيناً وربما اثبت
من لا يذكر لبعض الاغراض التي لا يحسن معها الاعتراض والحق في اثباته كثيراً من
الموجودين رجاء انتفاع من علمه يسأل عنهم من المستفيدين مع غلبة الظن الغني عن
التوجيه ببقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه مرتباً له لتسهيل الكشف على
حروف المعجم الترتيب المهود في الاسماء والآباء والانساب والجدود مبتدئاً من
الرجال بالاسماء ثم بالكنى ثم بالانساب والالقب وكذا المبهمات بعد الابناء
مراعياً في الترتيب لذلك كله حروف الكلمة المقصودة بحيث ابدأ في الالف مثلاً
بالهمزة الممدودة ثم بالهمزة التي بعدها موحدة والـف ثم بالتي بعدها على ما الف مردوفاً
ذلك بالنساء كذلك وكل ما اطلقت فيه شيخنا فرادي به ابن حجر استاذنا وكنت اردت
ايراد شيء مما علمه يكون عندي من حديث من شاء الله من المترجمين فغشيت التطويل
مما انت حصل ايضاحه بالتبيين ولذا اقتصر على الرضي والزكي والسراج والعبد
والحموي ممن بلغت رضى الدين او زكي الدين او سراج الدين او عضد الدين او محي الدين
من المصنف عليه محتوى واعرضت لذلك عن الافصاح بالمعطوف عليه للعلم به فاقصر
على قولي مات سنة ثلاث مثلاً دون وثمان مائة وتوفي ثم ليعلم ان الاغراض
في الناس مختلفة والاعراض بدون التباس في المحطور مؤتلفة ولكنني لم آل في القوي
جهداً ولا عدلت عن الاعتدال فيما ارجو قصداً ولذا لم يزل الاكابر يتلقون ما ابديه
بالسليم ويتوقون الاعتراض فضلاً عن الاعراض عما القيمه والتأنيب حتى كانت العز
الخطيبي والبرهان بن ظهيرة المعتلي يقولان انك منظور اليك فيما نقول مسطور كلامك
المنعش للعقول وقال غير واحد ممن يعتمد بكلامه وتمتد اليه الاعتناق في سفره ومقامه
من زكيته فهو المعدل ومن مرضته فالضيف الملعل الى غيرها من الالفاظ الصادرة
من الائمة الايقاظ بل كان بعض الفضلاء المعتبرين يصرح بشعني الموت في حياتي
لا ترجمه بما علمه يخفى عن كثيرين نعم قد يشك من يعلم اني لا اقيم له وزناً فارق بل
يختلف (كذا) ما يضمحل في وقته حساً ومعنى ويستفيد به التنبيه على نفسه فيحقق منه ما كان
حساً او ظناً والله اسأل ان يجنبنا الاعتساف المجانب للانصاف وان يرزقنا لمة الحق
في السخط والرضى ويصرفنا عما لا يرتضى ويقينا شر القضا وسميته الضوء اللامع
لاهل القرن التاسع اهـ

هذا هو اقل ما يقال في الضوء اللامع والامل معقود بان يمثل للطبع عما قريب على يد

أحدى جمعيات المستشرقين في أوروبا ولما اكتفينا بإيراد ترجمتين منه لفاضلين أحدهما دمشقي والآخر مصري وإن كان شامي الأصل وذلك نموذجاً لاسلوب المؤلف وإنشائه قال في ترجمة العالم المؤرخ النكاتب المشهور ابن عربشاه :

« أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن أبي نصر محمد بن عربشاه ابن أبي بكر الأستاذ الشهاب أبو محمد ابن الشمس الدمشقي الأصل الرومي الحنفي والد التاج عبد الوهاب ويعرف بالعجمي وابن عربشاه وهو الأكثر وليس هو بقريب لداود وصالح أبي محمد عربشاه الحمدانيين الأصل الدمشقيين الحنفيين أيضاً . ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعائة بدمشق ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عمر بن اللبان المقرئ ثم تحول في سنة ثلاث وثلاثمائة في زمن الفتنة مع أخوته وأمه وابن اخته عبد الرحمن بن إبراهيم بن خولان إلى سمرقند ثم يفرده إلى بلاد الغطا وأقام ببلاد ماوراء النهر مديناً للاشتغال والاختصاص هناك من الأساتذة فكان منهم السيد محمد الجرجاني وابن الجزري وهما تزيلاً سمرقند الأول بمدرسة أيدكوتور والثاني بباغ خدا وعبد الأول وعصام الدين ابن العلامة عبد الملك وهما من ذرية صاحب الهداية وأحمد الترمذ في الواعظ وأحمد القصير وحسام الدين الواعظ أمام مسجد السيد الإمام محمد بخاري الزاهر والي في سمرقند في سنة تسع وثلاثمائة الشيخ عربان الأدهمي الذي استفيض هناك أنه ابن ثلاثمائة سنة فله أعلم وبرع في فنون واستفاد اللسان الفارسي والخط الموغولي واتقنها واجتمع في بلاد الموغول بالبرهان الأيدكاني والتاجي جلال الدين السيرامي وأخذ عنه وقرأ النحو على حاجي قليد السيد ثم توجه إلى خوارزم فأخذ عن نور الله وأحمد بن شمس الأئمة السيرافي الواعظ وكان يقال له ملك الكلام الفارسي والتركي والعربي ثم إلى بلاد الدشت وسراي وحاجي خان وبها (البحر) الزاخر مولانا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردي فأقام عنده نحو أربع سنين وأخذ عنه الفقه وأصوله ومما قرأ عليه المنظومة ثم إلى قرم واجتمع بأحمد بيروق وشرف الدين شارح المنار ومحمود البلغاري ومحمود اللب أبي (؟) وعبد المجيد الشاعر الأديب ثم قطع بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان فأقام بها نحو عشر سنين فترجم فيها للملك غياث الدين أبي الفتح محمد بن أبي يزيد ابن مراد بن عثمان كتاب جامع الحكايات ولامع الروايات من الفارسي إلى التركي في نحو (٥٠) مجلدات وتفسير أبي الليث السمرقندي الفادري بالتركي نظماً وبأشرفه ديوان الإنشاء وكتب عنه إلى ملوك الأطراف

عربيا وشاميا وتركيا بالعجمي لقرا يوسف ونحوه وبالتركي لأمر الدشت وسلطانها
وبالموغولي لشاروخ وغيره . والعربي للؤيد شيخ كل ذلك مع حرصه على الاستفادة
بحيث قرأ المفتاح على البرهان حيدر الخوافي وأخذ عنه العربية أيضا

فلما مات ابن عثمان رجع الى وطنه القديم فدخل حلب فاقام بها نحو ثلث سنة ثم
الشام وكان دخوله لها في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين فجلس بمحاثوت مسجد
القصبة مع شهوده يسيرا لكون معظم اوقاته الانعزال عن الناس وقرأ بها على القاضي
شهاب الدين بن الحبال الحنبلي صحيح مسلم في سنة ثلاثين فلما قدم العلماء البخاري سنة
اثنين وثلاثين مع الركب الشامي من الحجاز انقطع اليه ولازمه في الفقه والاصالين
والمعاني والبيان والتصوف وغيرها وكان مما قرأ عليه انكافي في الفقه والبرزوي في اصوله
وتقدم في غالب العلوم

وانشأ النظم الفائق والنثر الرائق وصنف نظماً ونثراً مرآة الادب في علم المعاني
والبيان والبديع وذلك في أسلوباً بديعاً نظم فيه التلخيص وعمل قصائد غزلية كل باب
منه قصيدة مفردة على قافية اشار اليه شيخنا بقوله ووقفني على منظومة في المعاني والبيان
واجاد نظمها وجعل كل باب قصيدة مستقلة غزلاً يؤخذ منه مقصد ذلك السبيل
انتهى . ومقدمته في النحر . وعتود النصيحة . والرسالة المسماة بمقد الفريد في التوحيد .
ونثراً تاريخ ليورنك سماه عجائب المقدور في نواب ليور . وفاكهة الخلفاء ومفاكهة
الظرفاء . وحضاب الالهة الناقب وجواب الشهاب الناقب . والترجمان المترجم بمنتهى
الارب في لغة الترك والديج والعرب

واشير اليه بالتفنن حتى كانت ممن يحمله ويعترف له بالفضيلة شيخنا واثني على نظمه
التلخيص كما قدمته بل كتب عنه من نظمه ليدخله في البلدانيات فقال انشدني بمنزلة
برزة بالقرب من قرية القابون التختاني في سابع رمضان سنة ست وثلاثين لنفسه

السبل بقلع ما يلقاه من شجر بين الجبال ومنه الارض تنفطر

حتى يوافي عباب البحر ينظرو قد اضمحل فلا يبقى له اثر

مع حرص صاحب الترجمة حين كونه بالقاهرة على ملازمته والاستفادة منه بل
امتدحه بقصيدة بديعة اتى فيها بالغاز وتعاي واهامي وجناسات وتلاعب فيها بفسر وب
الادب اودعتهما الجواهر والدرر سمعتها منه ومن لطيف اياتها بيت جمع فيه حروف
الهجاء وهو

خض بحر فظ حديثه نقش العلا واجزم بصدقك ناطقاً اذ تسند
وبيت عاقل وهو

العالم العلم الامام لدى العلا العامل الحكم الممام الاوحد
وبيت شطره الاول مما يستحيل بالانكاس وشطره الثاني عاقل مع كونه مما لا يستحيل
ايضاً فالاول مركب من آمن والثاني من احمد وهو

تم آمناً من يتم انما آمن دم حامداً ما ام آدم احمد
وكثر اجتماعهما وطرح شيخنا عليه من الاسئلة التي فيها الفكاهة والمداعبة مما
تعرف منه الملاءة والقدرة على التخلص منه ما اودعته منه اشياء في الجواهر عند الكلام
على قدرة شيخنا في التفسير وغيره رحمهما الله

وكان احد الافراد في اجادة النظم باللغات الثلاث العربية والعجمية والتركية
مجيد الخط جيد الالفان والقبض عذب الكلام بديع المحاضرة مع كثرة التودد ومزيد
التواضع وعظلة النفس ووفور العقل والرزانة وحسن الشكالة والابهة وسباه الخير ولوانح
الدين عليه غلاصرة وقد لقيه بالقاهرة في اخائناه الصلاحية سنة خمسين فكتبت عنه
من نظمه اشياء وسمعت من لفظه القمد الفريد وعتود النصيحة وكتبهما لي بخطه
وبالغ في الادب والتواضع ومات باخائناه المذكورة في يوم الاثنين منتصف رجب
سنة اربع وخمسين ودفن بترتها والناس مشغولون بالاستسقاء عند توقف النيل غربياً
عن اهله ووطنه بعد ان امتحن على يد الظاهر جقمق وطلبه لشكوى حميد الدين عليه
وادخله سجن المجرمين فدام فيه خمسة ايام ثم اخرج واستمر مريضاً من الفهر حتى مات بعد
اثني عشر يوماً عوضه الله خيراً وترجمته محتملة للبسطة فقد كان من محاسن الزمان ومن
ترجمه باختصار المتريزي في عقوده ومما كتبه عنه لنفسه

قيص من القطن من حله وشربة ماء قراح وقوت
بنال به المرة ما ينبغي وهذا كثير على من يموت

ومنه ممياً

وجهك الزاهي كبدر فوق غصن طلعا واسمك الزاكي كشكاة سناها لعا
سيف يوت اذن الله لها انت ترفعا عكسا صحفه تاتي فيه الحسن (٢) اجما

ومنه

فعلش ماشئت في الدنيا وادرك بها ماشئت من صيت وصوت

فجبل العيش موصول بقطع وخيط العمر معقود بموت

ومنه

وما الدهر الا سلم فيقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه
وعيهات مافيه نزول وانما شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار اعلى كان اوفى تهشماً وفاء بما قامت عليه شروطه

وترجمه بعضهم فقال : العلامة احد افراد الدهر في الفضل والسجع وعلم المعاني والبيان والبديع والنحو والصرف والنظم والنثر كان ممن أسرمع اللثك (اي الاعرج تيمورلنك) ونقل الى سمرقند ثم خرج منها في سنة احدى عشرة وجمال في بلاد الشرق ورجع الى دمشق في سنة خمس وعشرين فاقام بها مدة بشكيب بالشهادة في بعض حوائثها وقدم القاهرة في سنة اربعين وصنف عجائب المقدور في نوائب تيمور من ابتدائه الى انتهائه ابان فيه عن فضل كبير وملكمة للسجع وغزارة اطلاع بحيث لخصه المقرئ ي وتوهم مؤلفه فقال : نثره سجعاً فعلاً ورشو. بالاشعار فحلاً. الى ان قال : بانه بحر بلاغة وفصاحة اتشدنا كثيراً من شعره وله معرفة بالفقه واللغة ولكن الغالب عليه الادب وله نظم كثير منه كتاب مرآة الادب يشتمل على المعاني والبيان والبديع وهو نظم بطريقة الغزل يكون نحو التي بيت وكتاب سيف في علم النحو نظمه بطريقة الغزل ايضاً نحو مائتي بيت وقصيدة غزلية في الصرف بدعوة مدح بها بعض اعيان الدولة وقصيدة في نحو مائتي بيت وشرحها في مجلد وخضاب الالهاتب الناقب وجواب الشهاب الناقب بينه وبين البرهان الباعوفي وحيد الدين القاضي ابان فيه عن حفظ كثير للغة وكثرة اطلاع وغزارة فضل وسبب منعه ان الباعوفي كتب له ستة ابيات التزم فيها بانطسا (٩) المسألة اولها

أحمد لم تكن والله فظاً ولكن لا ارى لي منك حظاً

واستوفى كثيراً من اللغة وكان قد وقع بينه وبين حميد الدين فحصل للشهاب ستة أخرى مثل نظره في كتب اللغة وعملها في ستة ابيات يعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته ثم كتب اليه بايات التزم فيها الرأ قبل الالف والراء بعدها .

من مجيري من ظلوم منه أبعدت مزارا

واستوفى مافي الباب قال الشهاب فلم اجد له قافية فكشبه له على لسان حميد الدين

قصيدة بغدادية اولها

اي خداوند عجبجو عن موالة التناغي
 فلم يقدر على الجواب بمثلا وكتب الي بقوله
 يا شهاب الدين يا احمد يا ابن عربشاه
 واستوفى القافية فظفرت باشياه تركها فقلت
 قد اتى الفضل عليه حلل اللطف موشاه

فتعجب من سعة دائرته وكثرة اطلاعه ثم قال له انا والله ما عرفتك الا الآن قال
 فقلت له والله والى الآن ما عرفني وطال الجواب بينهما على هذا المنوال حتى ألف من
 ذلك مجلداً فمن ذلك ما كتب به البرهان

ابن عربشاه كف عني اولاً نخذ ما يحبك مني
 واعلم بانني خصم ألد الشر دأبي والمكر في
 خلني رجال لم يحال في الحرب لا يخلفون ظني

الى آخرها ومن جملة المراسلات ان البرهان ارسل اليه بعشرة ايات التزم فيها البلاء
 والياء واستوفى ما في الصحاح اولها

ان القميم وانت يا هذا ابن عين الخبير كذا

واستوفى القوايه وظن اني لم اجد قافية فاجبته وآخر الامر توجه حميد الدين
 الى مصر وشكاها الى السلطان وقال له البرهان هجائي فلم يرد عليه الا بقوله يكتب له
 من اليوم بكفه عن هجائك فلما خرج قال السلطان للشمس الكاتب ان الباعوني رجل
 جيد لولا انه عرف منه شيء ما قاله وألغز اليه ابو اللطف الخصكني فاجاب بعد ان
 اجاب شعر القاهرة (٩) بغير المراد ثم الغز هو اليه واجابه بما لم اطل بايراده هنا وشعره كثير
 جدأ وتصنيفه المادي فأكهة الخلفاء ومفاكة الظرفاء في مجلد ضخم فيه عجائب وغرائب
 على لسان الحيوانات من اواخر ما ألف .

ولما دخل مصر بعد الخمين في الطاعون وجد غالب من بيت الكمال ابن البارزي
 مات كزوجته واخته فثرام بقصيدة طنانة على عدة قوافي واظهر في محالها من كل
 قافية الى الاخرى قوة عجيبة ومملكة للنظم لا ينهض غيره بشئ غبارها من قافية
 اللام الى قافية الالف الى الهاء الى غيرها تزيد على سبعين بيتاً اولها

ألى م الدهر يردى بالكمال وبدي بالردى اهل الكمال ١٠٠٥

وقال في ترجمة العلامة المتريزي : « احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن

ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن ابي الحسن ابن عبد الصمد ابن تميم الثقفي
 ابو العباس ابن العلا ابن المحيوي الحسيني العبيدي البجلي الاصيلي القاهري سبط ابن
 الصائغ ويعرف بابن المقرئ وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة وكان
 اصله من بعلبك وجده من كبار المحدثين فتحول ولده الى القاهرة وولي بها بعض الوظائف
 المتعلقة بالقضاة وكتب التوقيع في ديوان الانشاء وانجب صاحب الترجمة وكان مولده
 حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين وقال شيخنا: انه رأى بخطه ما يدل
 على تعيينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة ونشأ بها نشأة حسنة لحفظ القرآن وسمع
 من جده لامة الشمس ابن الصائغ الحنفي والبرهان الأمدي والعز ابن الكوكبي والنجم
 ابن رزين والشمس ابن الخشاب والنوحي وابن ابي الشيخة وابن ابي الجعد والبلقيني
 والعراقي والميتي والفرسي وغيرهم بل كان يزعم انه سمع المتسلسل علي العماد ابن
 كثير ولايكاد يصح . وحج فسمع بمكة من الشاذلي والاموي والشمس ابن سكر
 وابي الفضل التويري القاهري وسعد الدين الاسفراييني وابي العباس ابن عبد المعطي
 وجماعة واجاز له الاسنوي والاذري وابي البقا السبكي وعلي ابن يوسف الرريدي (?)
 وآخرون ومن الشام الحافظ ابو بكر ابن الحب وابو العباس ابن العز وناصر الدين محمد
 ابن محمد بن داود وطائفة واشتغل كثيراً وطاف على الشيوخ وولي الكبار وجالس الائمة
 فآخذ عنهم وتفق حنفياً على مذهب جده لامة وحفظ مختصراً فيه ثم لما ترعرع وذلك
 بعد موت والده في سنة ست وثمانين وهو حينئذ قد جاز العشرين تحول شافعيًا واستقر
 عليه امره لكنه كان مائلاً الى الظاهر ولذلك قال شيخنا انه احب الحديث فواظب
 على ذلك وكان يهتم بمذهب ابن حزم ولكنه كان لا يعرفه انتهى هذا مع كون والده
 وجده حنليين ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل وكتب بخطه الكثير وانتقى
 وقال الشعر والنثر وحصل إفاة وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة
 غير مرة اوها في سنة احدى وثمانين مائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة حسن والامامة
 بجامع الحاكم ونظره وقرأ الحديث بالمؤبدية عوضاً عن المحب ابن نصر الله حين استقراره
 في تدريس الخطابة بها وغير ذلك وحمدت سيرته في مبائراته وكان قد اتصل بالظاهر
 بقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر في سنة عشر وعاد معه وعرض عليه قضاءها
 مراراً فابى وصحب بشبك الدوادار وقتاً ونالته منه دنيا بل يقال انه اودع عنده نقداً وحج
 غير مرة وجاور

وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها نظراً وقف القلاسي والبيارسثان الثوري مع
كون شرط نظره لقاضيها الشافعي وتدريس الاسمية والاقبالية وغيرها ثم اعرض عن
ذلك واقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبمسد فيه صيته
وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطوط للقاهرة وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الاوحدى
كما سبق في ترجمته فاخذها وزادها زوائد غير طائلة ودرر العقود الفريدة في تراجم
الاعيان المفيدة ذكر فيه من عاصره وامتناع الاستماع بما للرسول من الانباء والاحوال
والحفدة والمنازع . وكان يحب ان يكتب بمكة ويحدث به فتيسر له ذلك . والمدخل
له . وعقد جواهر الاسقاط في ملوك مصر والفسطاط . والبيان والاعراب عما في ارض
مصر من الاعراب . والامام في تأخر من بارض الحبشة من ملوك الاسلام . والطرفة
الفريية في اخبار حضرموت العجيبة . ومعرفة مايجب لآل البيت النبوي من الحق
على من عداهم . وايقاظ الخفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء . والملوك بمعرفة دول
الملوك يشتمل على الحوادث الى وفاته . والتاريخ الكبير المتقى وهو في ستة عشر مجلداً
وكان يقول انه لو كل على ما يرومه لجاوز الثمانين . والاخبار عن الاعذار . والاشارة
والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام ومختصره وذكر من حج من الملوك والخلفاء والنظام
بين بني امية وبني هاشم وشذور العقود وضوء الساري في معرفة خبر تميم الدارسي
والاوزان والاكيال الشرعية وازالة النعب والعنا في معرفة الحال في العنا وحصول
الانعام والمير في سؤال خاتمة الخير . والمناصد السنية في معرفة الاجسام المعدنية وتجريد
التوحيد ومجمع الفرائد ومنبع الفوائد يشتمل على شلي العقل والنقل المحتوي على فني الجدل
والهزل بلغت مجلداته نحو المئة وما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب . وشارع النخلة
يشتمل على جميع ماختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه
الحق منها والاشارة والاياء الى حل لغز الماء وهو ظرف وغير ذلك . وقرض سيرة
المؤيد لابن ناهض وقد قرأت بخطه ان تصانيفه زادت على مائتي مجلد كبار وان شيوخه
بلغت ستائة نفس وكان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك
يكثر له فيهم وقرع التحريف والسقط وربما صحف في المتن .

ومما رأيت بخطه في ذلك ابن بدر وهو يفتح الموحدة والدال المهملة فقبضه بخطه
بالبدل وعلي ابن منصور الكرخي شيخ السلفي وهو بالجيم فقبضه بالهاء المعجمة وكثيراً
ما يجعل عبيد الله عبيد الله وعكسه بل وبلغني انه جعل ابا طاهر ابن محمش واري الحديث

المسلسل بالاولية حين حدث به بالخاء المعجمة بدل المهمللة واما في التأخيرين فقد انفرد في تراجمهم بما لا يوافق عليه كقول له في ابن الملقن انه كان يني (٩) الصلاة جداً وكان مع ذلك بكثرة الاعتماد علي من لا يوثق به من غير عزو اليه حتى فعل ذلك في نسبة فان مستنده في كونه من العبيدين كونه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له : يا ولدي هذا جامع جدك لاسيما وما قاله ابن ارفع في نسبة عبد القادر جده انصار يا ينجوش في هذا وان توقف صاحب الترجمة فيه لكنه مع ذلك لم يكن يتجاوز في تصانيفه في سياق نسبة عبد الصمد ابن تميم وان اظهر زيادة على ذلك فلن يثق به ثم رأيت ما يدل على انه اعتمد في هذه النسبة العربي المشهور بالكذب قاله اعلم . ومن يصف من يكون كذلك بالحافظ مريد الاصلاح فقد جازف وما احسن قول بعضهم مما في بعضه توقف (كذا) وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها واما الوقائع الاسلامية ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل والراتب والسير وغير ذلك من اسرار التاريخ وعجائنه فغير ماهر فيه وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والفقه والحديث على اقوال السلف والمأم بمذهب اهل الكتاب حتى كان يردد اليه انما ضلهم للاستفادة منه مع حسن الخلق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده والحجة في المذاكرة والمداومة على التهجيد والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة فيها والملازمة لبيته حتى ان بعض الرؤساء فيما يلقي عتب على انقطاعه عنه انشد قول غيره :

قالت الارنب للفقير كلاما فيه ذكرى لتفهم الالباب
انا اجري من الكلاب ولكن خير يوعي ان لا ترافي الكلاب

ولو انشده قول ابن المبارك

قد ارحنا واسترحنا من غدو ورواح واتصال بلثيم او كريم ذي سماح
بعفاف وكفاف وقنوع وصلاح وجعلنا اليأس مفتاحا لابواب الفجاح
لكن احسن و (له) الخبرة بالزايجة والاصطربالاب والرمال والميقات بحيث انه اخذ
لابن خلدون طالعا والتمس منه تعيين وقت ولايته فيقال انه عين له يوما فكان كذلك
وعند من النوادر

كل ذلك مع تجليل الاكابر له اما مداراة له خوفا من قلة او حسن مذاكرته وقد حدث
بعض تصانيفه ومروياته بمكة والقاهرة سمع منه الفضلاء واخبر انه سمع فضل الخليل
للدمياطي على ابي طلحة الجراوي مرتين فاعتدوا اخباره بذلك وقرى عليه مرة بل

كتب بخطه قبيل موته سنة انه لا يعلم من يشاركه في روايته ورأيت بخط صاحبنا النعم ابن فهد انه حضره في الرابعة علي الخراوي وما علمت مستنده في ذلك .

وقد ترجمه شيخنا في مجعته بقوله وله النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة فانه احبا معالمها ووضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم اعيانها ولكنه لم يبلغ في انبائه لهذا الحد بل قال واولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصنف فيه كتاباً وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيراً منه قال وكان حسن الصحبة حلواً للمخاضرة وقال العيني : كان مشغلاً بكتابة التواريخ وبفرب الرمل تولي الحسبة بالقاهرة في آخر ايام الظاهر يعني بقوق ثم عزل بمسطرة ثم تولي مرة أخرى سفي ايام الدوادار الكبير سودون ابن اخت الظاهر يعني بقوق عوضاً عن مسطرة بحكم ابن مسطرة وعزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور وقال ابن خطيب التامرية في ترجمة جده وهو وجد الامام الفاضل المؤرخ نبي الدين وقال غيره : جمع كتاباً نبيا شاهده وسمه مما لم ينقله من كتاب ومن عجب ما فيه انه كان في رمضان سنة احدى وتسعين ماراً بين التفسيرين فسمع العوام يتحدثون ان الظاهر بقوق خرج من مبيته بالكرك واجتمع عليه الناس قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك ومن شعره في دمياط :

سقى عهد دمياط وحياه من عهد فقد زادني ذكراه وجداً على وجدي
ولا زالت الانواء تسمى بمحايها دياراً حكمت من حسن حاجته الخلد
وهي اكثر من عشرين بيتاً مات في عصر يوم الخميس سادس عشرى رمضان
سنة خمس واربعين بالقاهرة بعد مرض طويل وذلك على ما قاله شيخنا بشكالة
ثمانين من عمره ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بمحوش الصوفية البيبرسية رحمه
الله واياتنا اه .

هذان غودجان من الكتاب وكله فوائد جزيلة وهو مرآة صادقة لاحوال القرن التاسع للهجرة وفيه دب الانحطاط على اشده في جسم الامة الاسلامية



ميزان المقادير في تبيان التقادير

لعلمة الامامية وشيخ الفرقة العلوية الشيخ رضي الدين محمد القزويني وكان احد
افاضل القرن الحادي عشر من اعيان قزوين
« عني بنشرها محمود شكري افندي الآلوسي احد كبار علماء العراق العاملين »

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد وبعد فيقول المفتقر بجهله بالعلم اليقيني رضي الدين محمد
القزويني . كثيراً ما وقعت في الشريعة الحقنة المصطفوية عليه وآله الف الف تحية .
احكام مبتنية على مقادير مخصوصة ومسائل مشتملة على اوزان واكيال ومسافات منصوعة .
وجليلا ما اتفقت من المتدينين اهل الحساب . طوبى لمن لم وحسن مآب ضوابط متقنة
بتقديرات معينة . وقواعد محكمة بتجديدات مينة فتصفت فما وصلت الى رسالة مفصلة .
موضوعة لثأنها وتبعت فما اطاعت على مقالة محصلة مكفلة ببيانها . غير انها مسطورة
في صحف منشورة ضبطها محل للقرينة . ومذكورة في كتب متفرقة حفظها محل
للطبيعة . مع ان اكثرها وزعت موقعا لاختلاف الآراء . واجلها وردت موردا لافتراق
الاهواء . فها انا التي عليك لبيانها في طي هذه الرسالة نوعاً من بسط الكلام واحد في
اليك لبيانها في اثناء تلك المقالة ضرباً من توضيح المرام قاصداً فيها تسهيلا على الطلاب .
راجياً منها شيئاً من الثواب فانه غير مقصور على من اكثر العمل ووفره . لكنيمة فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره

وسميتها ميزان المقادير في تبيان التقادير . فجلتها تيمناً لها . وتزييناً ايها . هـ مدية
غزاة كتب الدستور الاعظم ملجأ الاكابر والامم . حاوي الراسخين الدينية والدينية
جامع الفضيلتين العلمية والعملية . مقدر احوال الانام . بالفكر الرزين . مدير ممالك
الاسلام بالعقل المتين . ملاذ اعظم الفضلاء في الآفاق . سلطان افخم العلماء بالاستحقاق .
معبر نقود انظار الاولين والآخرين . خازن مكتوم اسرار السابقين واللاحقين نحر
السيادة والنجابة والفضيلة والكمال . عين العظمة والشوكة والجلالة والاقبال . اعتضاد
الحضرة المتدسة السلطانية . اعتماد الدولة العلمية العالية الخافائية . ابد الله تعالى ظلال
دولته الى يوم الدين . بحرمة جده سيد المرسلين . وآباءه الائمة الطاهرين المعصومين .

فاعلم ان المقادیر المذكورة على ثلاثة اقسام • امامقلدة بالوزن • واما بالكيل • واما بالمساحة •
والبحث • اما ان يكون على وجه يكشف حقائقها • او على سوق يظهر دقائقها فان شغلت
الرسالة بتفصيلات افتتاحاً • وبتتميات اختتاماً

تفصيل فيه ذكر المقادیر المقدرة بحسب الوزن

هذه المقادیر ينتهي اكثر تقديراتها بل كلها الى وزن الحبة من الشعيرة المتوسطة
لقلة الاختلاف فيها • وسهولة تحصيلها وشيوعها في الامكنة والاوقات فوزنها بين
الاوزان كالواحد بين الاعداد فكما ثبت للواحد كسورهم فكذلك قدرت لها اجزاء فأسس
البيان بذكرها فيقال سدس الشعيرة الخردل

ولجزء من اثنين وسبعين جزءاً منها الفلس

فهو نصف سدس الخردل • ولجزء من اربعائة واثنين وثلاثين جزءاً منها القليل ويقال
له القليلة ^(١) ايضاً فهو سدس الفلس

ولجزء من الفين وخمسمائة واثنين وتسعين جزءاً منها النقيير فهو ايضاً سدس القليل

ولجزء من عشرين الفا وسبعائة وستة وثلاثين جزءاً منها القطمير فهو ثمن النقيير

ولجزء من مائتين وثمانية واربعين الفا وثلاثمائة واثنين وثلاثين جزءاً منها الذرة ^(٢) فهي

نصف سدس القطمير

ولجزء من الف الف وسبعائة واحد واربعين الفا وثلاثمائة واربع وعشرين جزءاً منها

الهباء فهو صبع الذرة

وبعد هذا التأسيس تفصل الاوزان المشهورة المذكورة على الاسنة على ما وصل

اليها حسب اقتضاها الترتيب •

الطسوج وهو قدر حبتين من شعيرتين متوسطتين وهو مشهور به فسرره اهل

اللغة ايضاً ولم اجد فيه خلافاً

(١) وقع في القرآن المجيد منها كما في قوله تعالى ولا تظلمون قليلاً وامثاله مجاز بعلاقة

معانيها اللغوية لاما اصطلاحوا عليه المذكور فيما نحن فيه (منه)

(٢) الذرة النخلة الصغيرة والمذكور هنا ليس وزنها الواقعي بل هو محض اصطلاح

اذ بين وزنها الواقعي وهذا القدر يون بعيد يظهر من قول صاحب القاموس الدر صغار

النخل ومائة منها ووزنه حبة شعير فالواحدة ذرة (منه)

والقيراط وهو قيراطان قيراط الدرهم وقيراط الدينار . وهذا ايضا مكى وعراقي
فبالحقيقة ثلاثة اقسام

اما قيراط الدرهم فهو اربع شعيرات يبلغ طسوجين في القاموس في م لك القيراط
طسوجان والطسوج حبتان يعني شعيرتين كذا في الصحاح . وقيل هو ست شعيرات
فيبلغ ثلاثة طساسيج يعني قيراط الدرهم
واما القيراط المكى للدينار فهو شعيرتان او ستة اسباع شعيرة يبلغ سطوجا وثلاثة
اسباعه .

واما القيراط العراقي فهو ثلاث شعيرات وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ سطوجا وخمسة
اسباعه في القاموس القيراط والقيراط يختلف وزنه بحسب البلاد فبمكة ربع سدس دينار
وبالعراق نصف عشره انتهى فالتقدير موافق لما قدرناها به كما ستعرف وهذا العراقي
هو المعتبر في باب زكوة الذهب

واما القيراط الواقع في الحديث مع تفسيره بانه مثل جبل احد فجاز
والدائق وهو اذا اطلق فالمراد به دائق الدرهم وقدره ثمانى شعيرات . يبلغ قيراطي
الدرهم في القاموس في م لك . والدائق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج
حبتان والحبة سدس من ثمن درهم وهو جزء من ثمانية واربعين جزءا من درهم وهو بعينه
عبارة الصحاح وفي دن ق فسرده سدس الدرهم وهو ايضا قيراطان كما ستعرف
والدرهم وهو دراهم الدرهم البغلي^(١) وهو اربع وستون شعيرة يبلغ ثمانية دوايق
والدرهم الطبري وهو اثنتان وثلاثون شعيرة يبلغ اربعة دوايق نصف البغلي في
القاموس الطبري ثلثا الدرهم اراد به الدرهم الشرعي . والدرهم الشرعي وهو ثمان
واربعون شعيرة يبلغ ستة دوايق متوسط بينهما وهذا الشرعي هو المعتبر في نصاب
زكوة الفضة وامثاله ويقال له الوربة ايضا

قال العلامة في التحرير الدراهم في صدر الاسلام كانت اصفين بغلية وهي السود^(٢)

(١) ضبط بعضهم البغلي باسكان الغين المعجمة وبعضهم بفتح الغين المعجمة وتشديد
اللام ووجه تسميه به مفصلاً مذكور في الحبل المتين (منه)

(٢) قيل الدراهم السود هي الدرهم من الفضة المسكوكة بالصور كما يكون بين الكفار
لا الفلوس ولا يخفى ان ماروي في من لا يحضره الفقيه من انه سأل عبد الرحمن ابن الحاج
او عبد الله عليه السلام عن الدراهم السود تكون مع الرجل وهو يصلي مربوطة او غير

كل درهم ثمانية دوانيق وطهرية كل درهم اربعة دوانيق فجمعاً في الاسلام وجعلوا درهمين متساويين وزن كل درهم ستة دوانيق فصار وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل بمثل الذهب وكل درهم نصف مثقال وخمسة وهو الدرهم الذي قدر به النبي من المقادير الشرعية في نصاب الزكاة والقطع ومقدار الديات والجزية وغير ذلك . والدانق ثمانى حبات من اوسط حب الشعير انتهى

والمثقال وهو مثقالان المثقال الشرعي وهو المعبر عنه بالدينار بلاخلاف لكن الدينار كثر استعماله في المسكوك من الذهب كما ان اكثر استعمال الدرهم في المسكوك من الفضة قدره ثمان وستون شعيرة واربعة اسباع شعيرة يبلغ درهماً وثلاثة اسباعه بالشرعي . في الصحاح وكذا في القاموس المثقال درهم وثلاثة اسباع درهم والدرهم ستة دوانيق والدانق قيراطان الخ . وهو المعبر في الاحكام الشرعية بلاخلاف يظهر من تتبع كلام الفقهاء . وما وقع في الحديث من ان المثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض فجزأ . والمثقال الصيرفي وهو المعروف في زماننا ستة اربع وخمسين والف في اكثر بلاد المجمع قدره اربع وثمانون شعيرة على ما وزنا وراعينا في وزنه كالم الاحتياط . والتدقيق يبلغ درهماً وثلاثة ارباع درهم بالشرعي

والواني وقدره ثمانون شعيرة يبلغ درهماً وثلاثي درهم في القاموس الواني درهم واربعة دوانيق موافقاً لما قدرناه به

والاستار بالكسر وقدره ثلاثمائة وثمانى شعيرات واربعة اسباع شعيرة قدره ستة دراهم وثلاثة اسباع درهم بالشرعي يبلغ اربعة مثاقيل ونصف مثقال بالشرعي كذا في الصحاح . والقاموس وقيل هو ستة دراهم وثلاث درهم او اربعة مثاقيل نقلهما الشيخ في اواخر كتاب القانون

والاوقية كالوقية بالضم وتشديد الياء وهي اوقيتان الاوقية الجديدة وهي على ما به فسرهما الفقهاء . وجمهور اصحاب اللغة والاعلياء خمسمائة واربعة عشرة وسبعان من الشعيرة قدر عشر دراهم وخمسة اسباع درهم يعني سبعة مثاقيل ونصف يبلغ استاراً وثلاثي استار بالمعنى الاول . وعلى ما نقله الشيخ في اواخر القانون هي سبعة مثاقيل يكون

مربوطة فقال ما اشتهي ان يصلي معه هذه الدراهم التي فيها التماثيل الحديث لا يؤيد شيئاً منهما كما لا يخفى

عشرة دراهم وتبعه العلامة الشيرازي في شرح القانون وصاحب القاموس في وق به لكنه وافق في م لك الجهور كما وافقهم صاحب الصحاح في الموضوعين وصرح بانها هي المعبرة بين الاطباء وسنقل كلامه بعينه وعلى ما فسر به بعض ما يعتد به هي اثنا عشر درهماً يعني ثمانية مثاقيل وخمسي مثقال فلها ثلاثة تفسيرات والمعتمد المشهور هو الاول كما ذكرنا

والاوقية القديمة وهي الف وتسعمائة وعشرون شعيرة قدر اربعين درهماً يعني ثمانية وعشرين مثقالاً تبلغ ثمانية اساتير وثمانية اساع استار بالمعنى الاول وفي الصحاح تصريح به وبما سبق منه في موضع آخر كما مر بقوله الاوقية في الحديث اربعون درهماً وكذلك كان فيما مضى فاما اليوم فيما تعارفها الناس ويقدر عليه الاطباء فالاوقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وهو استار وثلاثا استار انتهى وما وقع في الحديث من تفسير الاوقية باعظم من جبل احد فجاز

والنش^(١) بالتشديد وهو تسعمائة وستون شعيرة قدر عشرين درهماً يعني اربعة عشر مثقالاً يبلغ نصف اوقية قديمة كذا في الصحاح والقاموس ورووا كان صداق ازواج النبي صلى الله عليه وآله اثنتي عشرة اوقية ونشاً اندرون ما النش هو نصف اوقية عشرون درهماً انتهى ذكر هذه الرواية العلامة في منتهى المطلب للاستدلال على ان الاوقية كانت اربعين درهماً

والرطل وهو ابطال الرطل العراقي ويقال له البغدادي ايضاً وهو المراد عند اطلاق الرطل في الاكثر وفي تفسيره خلاف فعند جمهور الخاصة والرافعي^(٢) من العامة^(٣) ستة آلاف ومائتان واربعون شعيرة تبلغ اثنتي عشرة اوقية وثلاثي خمسة بالجديدة على المعنى الاول وبعبارتين آخرين احد وتسعون مثقالاً بالشرعي ومائة وثلاثون درهماً به وعند

(١) وفي حديث محمد بن علي بن موسى عليه السلام حين تزويج ابنته مأمون وبذلت لها من الصداق ما بذله رسول الله صلى الله عليه وآله لازواجه وهي اثنتا عشرة اوقية ونش على الخمسمائة الحديث (منه)

(٢) نقله عن الرافعي بهاء الملة والدين في الكشكول (منه)

(٣) «المتقنبس» يريد بالخاصة علماء الشيعة وبالعامة علماء السنة وهذا الاطلاق شائع في كتب الامامية فليتأمل

جمهور الدامة والعلامة^(١) من الخاصة ستة آلاف ومائة واحد و سبعون شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ اثنتي عشرة اوقية بالمعنى المذكور بلا زيادة ولا نقصان . وبعبارة اخرى بين تسعون مثقالاً ومائة وثمانية وعشرون درهماً واربعه اسباع درهم وعلى هذا التفسير صاحب الصحاح والقاموس اذ فسراه باثنتي عشرة اوقية وهو الرطل المعبر بين جمهور الاطباء ايضاً لكن على ما يظهر مما نقله الشيخ في اواخر القانون حيث فسره باثنتي عشرة اوقية والاولية بسبعة مثاقيل كما مر بصير اربعة وثلاثين مثقالاً ولم اجد من فسره به اصلاً والرطل المسدني وهو رطل ونصف بالعراقي والرطل المكي وهو ضعف الرطل العراقي ويخرج فيهما الاحتمالان الناشئان من تفسير الرطل العراقي في كل منهما مذهباً على النسبة المذكورة في الرطل العراقي

والمن^(٢) ويقال لهامنا^(٣) مقصوراً والمشهور منه منان المن المصري والانطالي وهو ثمانية آلاف ومائتان وثمانية وعشرون شعيرة قدر ست عشرة اوقية جديدة بالمعنى الاول يبلغ رطلاً وثلاث رطل على تفسير العامة وفي القانون ايضاً ست عشرة اوقية واخلاف في تفسيرها كما مر . والمن الرومي وهو عشرة آلاف وثلاثمائة وثمانين شعيرات قدر احدى وعشرين اوقية بالمعنى المذكور يبلغ رطلاً وثلاثة ارباع رطل وفي القانون عشرون اوقية يبلغ رطلاً وثلاثي رطل بتفسيره

والمن الطبي وهو اثنا عشر الفا ومائتان واثنان واربعون شعيرة وستة اسباع شعيرة يبلغ رطلين وبعبارة اخرى اربع وعشرون اوقية واخلاف فيه الا ما يقتضيه ما في القانون من تفسيره الاول

والمن التبريزي وهو خمسون الفا واربعائة شعيرة يبلغ ستائة مثقال صير في كما هو المتعارف في زماننا . والمن الشاهي وهو مائة الف وثلاثمائة شعيرة يبلغ الفا ومائتي مثقال صير في ضعف المن التبريزي

والكر بحسب الوزن اما المكياي والماسحي منه فسيجي^٤ تفسيرها ويعتبر فيه كونه من الماء قدر بالف ومائتي رطل باتفاق فقهاءنا رضوان الله عليهم الا ان الطب الراوندي وسدكر ما ذهب اليه لكنهم اختلفوا في ان هذا الرطل هل هو مسدني او عراقي ذهب

(١) صرح به في التحرير واسنده اليه الشهيد في البيان (منه)

(٢) ولين غير الاوزان المذكورة اطلاقاً آخران نقلهما صاحب القاموس بقوله

المن كيل مشهور او ميزان (منه) (٣) بلا تشديد (منه)

الى الاول جماعة منهم ابن بابويه والسيد المرتضى رحمهما الله والى الثاني الشيخان والعلامة ومن تبعهم ففيه مذهبان يرجع بعد ملاحظة الاختلاف الواقع في قدر الرطل العراقي بين الجمهور والعلامة كما ذكرنا الى ثلاثة مذاهب بحسب المال^(١) فعلى مذهب ابن بابويه يصير مائتين واربعه وثلاثين الف درهم شرعي وعلى مذهب الشيخين مائة وستة وخمسين الف درهم وعلى مذهب العلامة مائة واربعه وخمسين الفا ومائة وخمسة وثلاثين درهما وخمسة اسباع درهم .

ومما يلحق بالاوزان النواة وهي الاوقية من الذهب او اربعة دنائير او ما زنته خمسة دراهم او ثلاثة ونصف ومن العدد عشرون او عشرة هكذا في القاموس والريوة بالكسر وهي عشرة آلاف درهم كما في القاموس والبدره وهي كيس فيه الف او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار كما في القاموس وفي بعض كتب اللغة عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار والقنطار بالكسر قبل مائة وعشرون رطلاً وفي القاموس وزن اربعين اوقية من ذهب او الف ومائتا دينار او الف ومائتا اوقية او سبعون الف دينار او ثمانون الف درهم او مائة^(٢) رطلاً من ذهب او قضة الى الف او لأمك ثور ذهباً او قضة انتهى وهذا الاخير هو الشائع وبعض المفسرين عليه حمل ما في قوله تعالى (وآتيتهم احداهن قنطاراً) وما وقع في الاحاديث مع تقديره في بعضها بالف ومائتي وافية والوقية باعظم من جبل احد وفي بعضها^(٣) بخمسة عشر الف مثقال من ذهب والمثقال باربعه وعشرين قيراطاً اصفرها مثل جبل احد^(٤) واكبرها ما بين السماء والارض فمجاز

(١) لا يقال يجب ان يكون اربعة مذاهب لسراية الاختلاف في الرطل العراقي الى المدني ايضاً لانا نقول لما كان القائل بالمدني من جمهور الخاصة فالمراد بالمدني هو المعنى الاول اي رطل ونصف بالعراقي على تفسير الخاصة (منه)

(٢) تفسيره بمائة رطل يساوي تفسيره بالف ومائتي اوقية لان الرطل عنده اثنتا عشرة اوقية فالترديد بينهما كما أنه لخصوصية الموزون فيه اي الذهب والفضة (منه)

(٣) كما روي في الكافي عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ الف آية كتب له قنطار من بر والقنطار خمسة عشر الف مثقال والمثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصفرها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض (منه)

(٤) كما روي في الكافي في فضل القرآن عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب الكيل

هذه التقديرات ينتهي أكثرها الى مكيال يقال له المد بالضم معياره تخميناً ملائماً
كف الانسان المعتدل اذا ملاها ومد يده بهما قاله صاحب القاموس في م د د موافقاً
لما نقله عن الداودي بتقريب تفسير الصاع ثم قال - وبه سمي مداً وقد جربت ذلك
فوجدته صحيحاً انتهى ولنعسر ضبطه مع رجوع المقادير المكيالة اليه احتيج الى تقديره
بوزن معين سهولة للحفظ وصونا عن التغيير فقد ربه فاختلّفوا في قدره بحسب اختلاف
الروايات عن المقدّر فلا بد لنا مقدماً على سائر تلك المقادير تفسيره وتحقيق وزنه على
ما وصل اليه من المذاهب تأسيساً للأصل وتمهيداً للفصل فهذا القسم أيضاً في الحقيقة
ينتهي في التقدير الى اوسط حب الشعر وفي تقديره ستة اقوال الاول مائة واثنان
وستون درهماً ونصف درهم بالشرعي هو مائة وثلاثة عشر مثقالاً وثلاثة ارباع مثقال
بالشرعي يبلغ رطلاً وربعا بالعراقي على تفسير جمهور الخاصة وهذا احد احتمالي مذهب
ابن ابي نصر البرنطي من المحدثين اذ فسر هرطل وربيع ومذهبه في قدر الرطل
غير معلوم فان وافق الخاصة فذاك والا فمائة وستون درهماً وخمسة اسباع درهم
هو مائة واثنان عشر مثقالاً ونصف مثقال يبلغ رطلاً وربعا على تفسير العامة فهو الاحتمال
الآخر لمذهب - والثاني مائة واحد وسبعون درهماً وثلاثة اسباع درهم هو مائة وعشرون
مثقالاً يبلغ رطلاً وثلاثاً على تفسير العامة واليه ذهب النووي^(١) من العامة واختاره
صاحب القاموس في تفسير الصاع ونسبه صاحب الصحاح الى اهل الحجاز - والثالث
مائة وثلاثة وسبعون درهماً وثلاث دراهم هو مائة واحد وعشرون مثقالاً وثلاث مثقال
يلعب رطلاً وثلاثاً على تفسير الخاصة واليه ذهب الرافعي من العامة ومن تبعه - والرابع
مائتان وسبعة وخمسون درهماً وسبع دراهم هو مائة وثمانون مثقالاً يبلغ رطلين على تفسير
العامة نقله صاحب القاموس ونسبه صاحب الصحاح الى اهل العراق - والخامس مائتان
وتسعة وثمانون درهماً وسبع دراهم هو اثنان ومائتان مثقال ونصف مثقال يبلغ رطلين وربعا
على تفسير العامة - واليه ذهب العلامة من الخاصة رحمة الله عليه - والسادس مائتان واثنان
خمسائة آية في يوم وليلة في صلاة النهار والليل كتب الله عز وجل له في اللوح قنطاراً
من حسنات التذكار الف ومائتان اوقية واوقية اعظم من جبل احد
(١) نوى قرية بالشام منها ابو زكريا النووي من القاموس

وتسعون درهما ونصف درهم هو أربعة ومائتا مثقال وثلاثة أرباع مثقال يبلغ رطلين وربعا على تفسير الخاصة واليه ذهب جمهور فقهاءنا رضوان الله عليهم اجمعين (والقسط) وهو مكيال يسع مدين بالمعنى الثاني على ما يستفاد من القاموس اذ فسر به يسع نصف صاع والصاع أربعة امداد بذلك المعنى وقيل هو أربعة ارطال بتفسير العامة وحينئذ يبلغ مدين بالمعنى الرابع . ونقل الشيخ في اواخر القانين ان القسط عند الروم رطل ونصف وسدس فيكون عشرين اوقية والقسط الانطالي رطل ونصف واعلم انه قال يختلف باختلاف اضافته الى بعض المائعات كما نقل الشيخ ايضا عن بعضهم ان القسط من الزيت ثمانى عشرة اوقية ومن الشراب ثمانون رطلا ومن العسل مائة وثمانمائة ارطال ومن بعضهم ان قسط العسل رطلان ونصف وقد عرفت مراراً ان الرطل على ما نقله اثنتا عشرة اوقية كل منها سبعة مثاقيل وذكر بعضهم في تفسير قسط العسل رطلا واحداً ايضاً (والصاع) واعني به صاع النبي صلى الله عليه وآله وهو المدار عليه في زكاة الفطر وغيرها اتفقت اقوالهم جميعاً على ان الصاع أربعة امداد كيلاً ولم اجد خلافاً فيه واما في تقديره بحسب الوزن فاختلّفوا فيه بحسب اختلافهم في تقدير المد فذهب كل في الصاع أربعة امثال ما ذهب اليه في المد ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات فعلى اول احتمالي مذهب البزنطى هو خمسة ارطال على تفسير الخاصة وعلى آخر احتماليه خمسة ارطال على تفسير العامة وعلى مختار النووي وصاحب القاموس والمنسوب الى اهل الحجاز خمسة ارطال وثلاث رطل على تفسير العامة وعلى مختار الرافعي خمسة ارطال وثلاث رطل على تفسير الخاصة وعلى ما نسب الى اهل العراق ثمانية ارطال على تفسير العامة وعلى مختار العلامة رحمه الله تسعة ارطال على تفسير العامة وعلى مختار جمهور فقهاءنا رضوان الله عليهم تسعة ارطال على تفسير الخاصة

والكيلجة وهي من - وسبعة اثمان من - بالطبي يبلغ ثلاثة ارطال وثلاثة ارباع رطل على تفسير العامة كذا في الصحاح والقاموس (والمكوك) كتنور وهو كما في الصحاح ثلاث كيلجات يعني احد عشر رطلا وربيع رطل كذا في القاموس والوية بتقديم الياء المثناة التمامية وهي اثنا عشر او أربعة وعشرون مداً كذا في القاموس فيجرب فيها المذهب الثاني والرابع اللذان نقلهما في المد ففيها أربعة احتمالات

والفرق وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا عراقياً على تفسير العامة كما في الصحاح

يبلغ ثمانية امانان وتفسيره بما يسع ثلاثة اصوع لا يغير هذا التفسير اذا كان المختار عند المفسرين به ان الصاع خمسة ارطال وثلاث فالتريد في تفسيره بين ما يسع ثلاثة اصوع وما يسع ستة عشر رطلا من صاحب القاموس كأنه لاختلاف التعبير مع كونه بعيداً جداً

والقفيز المكيالي اما الارضي منه فسيجي تفسيره يختلف بحسب البلاد جداً والمنقول ثمانية مكايك اعني اربعة وعشرين كيلجة كذا في الصحاح والقاموس والاردب بكسر الهمزة وتشديد الباء وهو ستة وتسعون مدا يبلغ اربعة وعشرين صاعاً نقله صاحب القاموس وقد عرفت مختاره في الصاع والجرب المكيالي اما الارضي منه فسيجي تفسيره قال صاحب القاموس هو مكيال قدر اربعة اقفة فيبلغ اثنين وثلاثين مكوكا

والوسق هو المعتبر في نصاب زكوة الغلات وهو مائتان واربعون مداً يبلغ ستين صاعاً بالاتفاق نقله اهل اللغة وغيرهم ولم اجد خلافاً فيه فيختلف الآراء في وزنه بحسب اختلافها في المد والصاع ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات والتفرع ظاهر مما ذكرنا في المد والصاع

وانكر المكيالي وهو ثلاثة آلاف وثمانمائة واربعون مداً يبلغ اربعين اردباً نقله صاحب القاموس وله معنيان آخران نقلهما ايضاً بقوله بالضم مكيال للعراق وستة اوقار حمار وهو ستون قفيزاً

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب المساحة

ينتهي تقديرات هذا القسم ايضاً الى قدر الشعيرة المتوسطة لكن لامن حيث الوزن كما مر بل من حيث المساحة اي قدر عرض السطح الصغير منها يعني احد جنبتيها وبعضهم لم يقتصروا في التقدير على عرض الشعيرة وتجاوزوا عنها وقدروا عرض الشعيرة ايضاً بعرض شعر البرذون ذنبه كما قال صاحب البهائية او عرفه كما صرح به صاحب القسطاس وقيل عرض كل شعيرة ست شعيرات منه وقيل سبع شعيرات فبعد هذا التأسيس اعلم ان هذا القسم من المقادير ينقسم الى ثلاثة اقسام اما ان يعتبر فيه المساحة الخطية . واما ان يعتبر فيها المساحة السطحية . اي مربع الخط . واما ان يعتبر فيها المساحة الجسمية اي مكعبه فالقسم الاول الذي يعتبر فيه المساحة الخطية (الاصبع) وهي قدرت بست

شعيرات متلاصقات بالسطح الاكبر بحيث يكون ظهر كل منها على بطن الآخر وبها قدرها شارح الجفغيني . وقيل سبع وبها قدرها شارح الملمة ففيها ايضا مذهبان وفي كل منها يجري احتمالا تقدير الشعير فتصير الاحتمالات في تقديرها اربعة . الاول كونها ست شعيرات والشعيرة ست شعرات . والثاني . كونها سبع شعيرات والشعيرة سبع شعرات . والثالث . كونها ست شعيرات والشعيرة سبع شعرات . والرابع . كونها سبع شعيرات والشعيرة ست شعرات عكس الثالث فنقل الاول صاحب البهائية والقسطاس . ونقل الثاني والثالث الشهيد الثاني في شرحه على لمعة الفقه . ولم اطلع على نقل على الرابع لكنه محدد في المال مع الثالث اذ حاصل ضرب السنة في السبعة وبالعكس واحد فالمذاهب الواتعة المختلفة في المال في تقدير الاصبع ثلاثة . موجب الاول ان يكون ستا وثلاثين شعيرة والثاني ان يكون تسعا واربعين منها والثالث ان يكون اثنتين واربعين منها فيجرب في هذا الاختلاف في جميع المقادير الآتية الراجع تقديرها الى الاصبع فكل واحد من التقديرات التي تنتقل بعد على ذلك الوجه متفلق عن ثلاثة احتمالات بحسب المال

والقبضة وهي قدرت باربع اصابع مضمومة يبلغ ثمان وعشرين او اربع وعشرين شعيرة ينتهي الى مائة وست وتسعين او مائة وثمان وستين او مائة واربعين شعيرة

والشبر والعنبر منه شبر المستوي خلقه وهو المقياس لاستعلام الكرم من الماء يمكن تقديره تخميناً بالقبضة والاصبع بان يقال هو ثلاث قبضات او اثنتا عشرة اصبعاً ولكن لم يقدروه بشيء اعتماداً على قلة تفاوته مع قيد المستوي ومن اراد التحديد فيمكن ان ينضبط بما قدرناه ويكاد ان لا يتخلف عند التبع

والقدم وهي المعتبرة في الظل وليس لها قدر معين قدرت بسبع القامة من اي شيء كانت من الشواخص سواء كان قامة الانسان او غيره فيختلف بحسب اختلاف اعتبار القامة

والخطوة والقامة من الانسان والمعتبر منها هو المشعار الوسط ولم يقدرا بشيء معين

والذراع وهي ثلاث الذراع الشرعية ويقال لها القائم وهي ذراع المحدثين وللاصل فيها من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى او الساعد قدرت باربع وعشرين اصبعاً يبلغ ست قبضات والذراع الحديد ويقال لها السوداء قدرت بسبع وعشرين اصبعاً

يبلغ سبع قبضات الا اصبعاً والذراع الهاشمية وهي ذراع القدماء قدرت باثنين وثلاثين اصبعاً يبلغ ثمانى قبضات هذه الثلاثة هي المنقول والاذرع المتداولة في زماننا بحسب البلاد في زماننا غير محدود

والقصة وهي ست اذرع بالهاشمية وسبع وتسع بالحديد وثمانى بالشرعية والاشل بالتخفيف وهو عبارة عن جبل طوله ستون ذراعاً بالهاشمية يبلغ عشرين قبضات

والميل وهو الميل الهاشمي والاصل فيه مدى البصر قدرت بستة وسبعين الف اصبع يبلغ اربعة آلاف بالشرعية هذا هو المشهور في تقديره وروي ثلاثة آلاف وخمسمائة هذه الذراع نقله الشهيد الاول رحمه الله في البيان ففيه مذهبان

والفرسخ وهو ثلاثة اميال عند الاكثر فيختلف باختلاف تقدير الميل فهو اما اثنا عشر الف ذراع بالشرعية يبلغ تسعة آلاف بالهاشمية او عشرة آلاف وخمسمائة بالشرعية يبلغ سبعة آلاف وثمانمائة وخمسا وسبعين بالهاشمية ونقل صاحب القاموس في تفسيره عشرة آلاف ايضاً وظاهره الشرعي ففيه ثلاثة احتمالات وقول صاحب القاموس في الميل انه ثلاثة اواربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين انتهى اشارة الى الاول لا الى قولين مختلفين فيه وان كانت عبارته موهمة بخلاف المراد معناها انه ان اعتبرت في تقدير الفرسخ ذراع القدماء اي الهاشمية وقد بتسعة آلاف منها فالميل الذي يكون ثلث الفرسخ عبارة عن ثلاثة آلاف بهذه الذراع وان اعتبرت فيه ذراع المحدثين اي الشرعية وقد بتاني عشر الف منها فالميل عبارة عن ثلاثة ايضاً يعني اربعة آلاف بذلك الذراع ولا تفاوت في التقدير الا بالاعتبار كما اشار اليه المبيد في حاشيته على شرح الجعفي بقوله هو ثلاثة اميال بالاتفاق وذراعان الميل اربعة آلاف كل اثنان وثلاثون عند المتقدمين وثاني التقديرين الميل ستة وتسعون الف اصبع انتهى هذا ولكن دعوى الاتفاق في كون الفرسخ ثلاثة اميال مزيفة بما نقلناه عن صاحب القاموس في تفسيره يعني عشرة آلاف ذراع ولم ينقل احد تفسير الميل بما يطابق ذلك والبريد وهو عبارة عن اثني عشر ميلاً يبلغ اربعة فراسخ وهو المشهور ونقل صاحب القاموس في تقديره فرسخين ايضاً

والمسافة^(١) وهي التي شرع عند القصد اليها مع شروطه القصر في الصلوة والصوم
اختلف فيها ف قيل اربعة فراسخ يبلغ بريدأ بالمعنى المشهور وقيل ثمانية فراسخ يبلغ بريدن
بهذا المعنى ففيه مذهبان ويجري في كل واحد الاحتمالات المذكورة في الفرسخ ففيها
سنة احتمالات يصير في المال عند ملاحظة المذاهب الثلاثة في الاصبع ثمانية عشر احتمالاً

والقسم الثاني الذي يعتبر فيه المساحة السطحية سعة الدرهم البغلي
وهي المعتبرة في عفو الدم في الصلوة اذا كان ناقصاً عنها او ساوياً لها قدراً فتقدره بعض
فقهاءنا كأبن الجنيـد رحمه الله بسعة عقد الابهام الاعلى وبعضهم كأبن ادريس رحمه
الله بما يقرب من اخصم الراحة

والشبر وهو ست وثلاثون ذراعاً هاشمية مسطحة مضروب القصة في نفسها ويقال
لعشر كل شيء ايضاً عشيراً وكأنه هنا ايضاً بذلك الاعتبار لكونه عشر القفيز
والقفيز الارضي وهو ثلاثمائة وستون بهذه الذراع حاصل ضرب القصة في الاشل
وقدره صاحب القاموس بمائة واربعين ذراعاً

والجريب الارضي^(٢) وهو ثلاثة آلاف وستائة ذراع بها مضروب الاشل في
نفسه وما ذكرنا في القفيز والجريب هو المنقول وربما يختلف بحسب اختلاف اعتبارات
البلاد .

الباقى للآتي

(١) السوف بالضم موضوعه في الاصل للشم وكثر للمسافة الاستعمال في البعد لان
الدليل اذا كان في مسافة فلاة شم تراها ليعلم ا على قصد ام لا كذا في القاموس وذكرها
هنا باعتبار حقيقتها الشرعية والاختلافات الواقعة فيها وان كانت نظيراً لتصاب
الزكوة في المقادير الموزونة من انها من المسائل الفقهية وليست مما نحن فيه وقس عليها
نظائرهما المذكورة منه

(٢) وما وقع في بعض خطب امير المؤمنين عليه السلام ان اول من بنى على الله عز
وجل عناق بنت آدم واول قتيل قتله الله عناق وكان مجلسها جريباً في جريب الخطية
وان كان بظاهرها يقتضي ان يكون الجريب مما يعتبر فيه المساحة الخطية ولكن يظهر من
تنبع كلام اهل اللغة والحساب ان حقيقته ما ذكرنا فينبغي ان يحمل ما وقع في تلك
الخطبة على التوسع منه

علمائنا

وكيف يثشون أبناءهم

ان العالم الذي اصفه في مقالتي هذا ليس مما اشتهرته بلدتنا طرابلس الشام وحدها . بل بوشك ان يكون من مستبشرات كل بلدة من بلادنا الاخرى .

قضى هذا الفاضل حياته في خدمة العلم وتحقيق مسائله والتأليف فيه . وقد ورث هذا الميل من آباءه ، فأحب ان يورثه ابناً له في السابعة عشرة من عمره فلم يفلح .

وكما ذكر علماء « الطبيعيات » في كتبهم ان الاجسام او المواد قسمان « موصل ردي » و « موصل جيد » يعنون بالاول ما تنتقل فيه الحرارة ببطء . وبالاخر ما تنتقل فيه بسرعة — كذلك الحال في بعض الاشخاص : فان منهم من ينقل ملكات آباءه واستعدادهم العلمي الى ابنائه ومنهم من لا ينقل . والاول يصح ان نسميه « موصل جيد » والثاني « موصل ردي »

وصاحبنا الذي شكري عنه هو على ما يظهر من قبيل القسم الاخير : فانه مع ما اوتيته من سعة العلم والرغبة في تحصيل فنونه — لم يورث ابنه هذا الميل والاستعداد . فكان كسولاً . فاتراهمة . متطلي . نار العزيمة . وهل ان ضعف الميل في ذلك الفتى امر جبلي فيه او انه عرض له بسبب الاسلوب الذي جرى عليه ابوه في تربيته وتثقيفه ؟ لا اعلم .

وربما كان الناري أشد علماً مني ، اذا اطال روحه واصفى لاتمام الحديث : قيل للوالد : نراك توبخ ابنك لاقلة هفوة . وتنتهره على ملاء من الناس . وقد بانع الشباب فيحسن بك ان تخاطبه بما يخاطب به عادة من كان في مثل سنه . فقال : انه يعرف هذا . ويعرف مبلغ تأثير التوبيخ العلني في تشويه اخلاق الناشئين . ولكن هناك ضرورة تستدعي العدول عن هذا الاصل في التربية الى اصل آخر اجل واسمى .

ولما استوضح الامر منه قال : انه كانت يوجب ابنه على سوء عمله سيفه السر . فكان لا يبرعوي ولا يزدجر . ثم لما اخذ يربخ جبهة صار الولد يحاسب نفسه ويصلح سيرته .

قالوا : ولكذك تشتمه لامر تافه لا علاقة له بما نقول . فقد سمعناك توبخه منذ وضع الكرسي في غير الموضع الذي تريد ان يضعه فيه . وهذا مما لا يحسن بحال من الاحوال ان يوضح عليه . لاسيما وهو لا يعلم الغيب الذي وفر في نفسك من لزوم وضع الكرسي في هذا المكان دون ذاك .

فخلص الاستاذ من الجواب على هذا الاعتراض الى وصف ذكاء ابنه . وصفاء ذهنه . وانه يفهم ويحفظ ما يلقي عليه بسرعة زائدة . وقد حفظ مرة كتاباً صغيراً في قواعد اللغة الفارسية وحقق جميع مسائله في وقت قصير . ثم قال : لكن ابني مع هذا الذكاء النادر كسول لا يهتم بحفظ دروسه . ولا يصبر على المطالعة . ولو فعل لكان في النابغين الاولين . وعد في مقدمة الطلاب الناجحين .

ثم قال : وانني لا اطيق ان ارى ابني جاهلاً وان اعيش انا واباه تحت سقف واحد . وقد اعتبتي الحيلة في تعليمه . ويخطر لي انه اذا وصل الى سن العشرين وبقي على ما هو عليه من الكسل والجهل اسلمته الى الجندية . وصنفت بدفع البذل التقديري عنه . او انني ارسله الى مكاتب الاستاذة . حيث يعنى التلامذة من الخدمة العسكرية . واخذ يصف ما يقامي من عناء هذا الامر وان ابنه ننص عليه طيب عيشه . ولذيذ حياته . قال الراوي : فخشعت نفسي لقول الاستاذ . ورثيت لحاله . وقلت له ارى ياسيدي ان حياتك اثن من ان تكدر صفوها بمثل هذا . وان ابنك اذا لم يكن فيه استعداد وميل لطلب العلم . فاختر ميوله الأخرى لشؤون الحياة ودعه يشغل في العمل الذي يحسنه ويميل اليه بطبعه . فاذا كانت يميل الى التجارة والكسب فنشطه لسلوك هذا السبيل . واذا رأته يميل للدخول في سلك موظفي الحكومة فليفعل . فان ذلك اجدى من ان تكلفه ما لا طاقة له به من التحصيل .

فارتد وجه الاستاذ من سماع هذا الكلام . وقال : ان جميع ما تعلمه انت اعلمه انا وانك لان لم تدري ما اقول : اما قلت لك ان ابني على جانب عظيم من الاستعداد والذكاء . وانه يحفظ ويفهم ما يلقي عليه بسهولة وانه في ساعة واحدة حقق مسائل اللغة الفارسية التي لا يدركها غيره في بضعة ايام .

قال الراوي : قلت بلى ياسيدي الاستاذ فهمت كل ما نقول ولكذك انت لم تفهم بعضاً مما اقول :

ان قوة الذكاء والفهم غير قوة الميل والرغبة . فاما تتوفر في الطالب هاتان القوتان

لا يقال عنه انه مستعد للطلب . ولا ذو قابلية للعلم . وان ابنك ذكي سريع الفهم . لكنه كسول ضعيف الميل . فهو اذن قد توفرت فيه قوة دون قوة . الا ترى ان كثيرين من الطلاب هم على العكس من ابنك : ترى الواحد منهم كثير الرغبة والميل لتحقيق العلم متوفراً على الدرس والمطالعة جهده . لكنه ينقصه قوة الذكاء والفهم المتوفرة في ابنك . فيضيع عمره ولا يستفيد شيئاً من العلم . والايق بمن كان كذلك — اي كان ذكياً لكنه كسول او مجتهداً لكنه بليد — ان يدع طلب العلم ويأخذ في عمل آخر ينتفع به .

فامتعض الاستاذ وقال : من اين اتيت بهذه الفلسفة ؟ يريد اني تكلمت بكلام غير مفهوم . وهو ما يريدون بكلمة الفلسفة احياناً . ثم عاد الاستاذ فشرح ما أوتيه ابنه من ذكاء وقوة حافظه وغير ذلك من المواهب والمزايا . هذا ما قصه الراوي علينا . وموضع العبرة فيه ان ذلك الاستاذ قد درس على زعمه علوم الاولين والآخرين لكنه نسي علماً واحداً لم يوفق لدرسه مع انه في اشد الحاجة اليه . ذلك العلم هو علم التربية الذي هو فرض عين على كل اب عائل . ومعلم مدرسة . واذا زعم الاستاذ ان هذا العلم درسه في جملة مدارس . نقول له ولكمك لم تكن ذا استعداد وقابلية للانتفاع به . فيرد علينا بأنه على استعداد وقابلية لانه ذكي وسريع الفهم . فتضطرب حينئذ الى السكوت والصبر .

ومثل الاستاذ كثيرون يريدون ان يلزموا اولادهم بالتفصيل . ويكونون ضعيفي الميل والرغبة فلا يعمقون ان تمضي اعمارهم سهلاً . ويكون من جهة ثانية قد فات الوقت الذي يمكنهم فيه التدريب على الكسب وتوفير الثروة فيقتضون حياتهم في البطالة والخلول وضيق ذات اليد .

ولو فطن اولياؤهم لحالهم من اول الامر لربأوا بهم عن مثل هذا الموقف . وتخطوا بهم مالا ياتيهم من العلم الى ما يطبقون من العمل . واعانواهم على الانتفاع ببيوتهم الخاصة . واستثمار مواهبهم الفطرية .

واكثر ما يكون هذا الاغفال في بيوت العلم القديمة فان الآباء فيها يحرصون على تنشئة بنينهم في العلم . وتعويدهم التفصيل منذ الطفولة . ويلزمونهم اياه بكل وسيلة . ولا يكون في كثير منهم ميل اليه . واستعداد له . فيقتضون اعمارهم فيه . من غير ان

ليكون لم نصيب منه . سوَّى القيافة الخاصة . عمامة وطيلسان . وجبة واسعة
الاردان .

١ . وهناك سبب آخر يحمل الآخرين على الاشتغال بطلب العلم من دون أن تتوفر
فيهم القابلية له فلا ينالون حظاً منه : اولئك الذين يريدون الفرار من الخدمة
العسكرية وتضييق ذات يدهم في الغالب عن البذل النقدي فيشتغلون في التحصيل
لهذا الغرض .

وقد ينبغ بين هؤلاء افراد يصبحون غرراً لقومهم . ونبراس هدى في وطنهم .
اما الآخرون وهم معظم الطلاب فيحذقون من العلم القدر الذي ينجيهم من الخدمة
العسكرية ثم لا يلبثون ان يشغلوا عنه فينسوه رويداً رويداً . ويكونون قد وصلوا
الى سن يصعب معها مواصلة عمل او صناعة فيعيشون كلاً على اهلهم . يرمقون الرزق
ترميحاً . ولو انصف هؤلاء انفسهم لما اشتغل بتحصيل العلم منهم الا من اوتي نصيباً من
ميل واستعداد للطلب . ورزقاً يكفيه مؤونة الحاجة . والا فخير للمرء منهم ان يتعاطى
عملاً يرضى به عيشه . ويتقذه من عار البطالة . ويمكنه من اداء البذل العسكري .
او انه يقوم بهذه الوظيفة المقدسة . فانها من اسرف الاعمال لاسيما في وقتنا هذا .
وقد اصبحت الحكومة دستورية . والجندي فيها مرفه في معيشته . موفور الحرمة
في اداء خدمته .

ولو بلغ طلاب العلوم الاسلامية في احدى المدن مائة طالب مثلاً لكان منهم
عشرة يشغلون المناصب الدينية : مثل مفتي . وموظف محكمة . وكاتب صكوك .
وعشرة آخرون اغنياء عن الكسب بفني والديهم . وعشرة سوامم اقدموا على الكسب
بقوة من ارادتهم وهمة نفوسهم . اما السبعون الباقون فيغدون ويروحون في قومهم
على غير الحالة اللائقة بحرمة العلم وكرامة اهلله وقد تقود البطالة بعض هؤلاء الى انتياب
اماكن اللهو . وينزل الحال باخرين الى تناول الصدقات . والسقوط على طعام
الاموات .

وانا لنود ان يكثر هذا العنصر فينا معشر المسلمين : عنصر علماء الدين ولكننا نود
لم قبل كل شيء ان يكونوا موضع احترام العامة واجلال الخاصة ليكون ذلك ادعى
للاتفاف بهم . والتلبي عنهم . وان يكون لهم من خزينة الاوقاف ومال الامة روائب
تساعد على اداء وظائفهم . والظهور في مظهر التجليل بين ابناء قومهم . ثم يكون

وراء ذلك من قبل الحكومة او من قبل الرأي العام عيون تراقبهم . وتناقشهم الحساب على اعمالهم . حتى اذا اقترف احدهم مالا يلائم آداب صنعه . وكرامة دينه . اكره على التجرد من زيه العلمي . ثم ليختار لنفسه صناعة أخرى اويقى متشرداً كما يريد . والا فان ظهور اهل الدين في مظهر يزري بهم ويحط من قدرهم بدعو الى النفرة منهم وترفع ابناء الخاصة عن الدخول في سلكهم . فلا يعود ينضم اليهم سوى الخثالة . من اهل الجبال . وذوي البطالة . طرابلس الشام : المغربي

صحافتنا وصحافتهم

بالمقارنة اذا اردت ان يكون لك حول وطول وكلمة عالية مسموعة ومنزلة مهمة عند دولتك وسائر دول الارض فاقبلي على صحافتك الوطنية اقبال الشعب الاميركي على صحافته

صحافة الولايات المتحدة وصحافتنا

عدد سكان ولاية مينسوري	٣١٦٦٦٦٥	عدد صحافتها	١٠٤٨
« « « اهايو	٤١٥٧٥٤٥	« «	١١٨٩
« « « ايلينز	٤٨٢١٥٥٠	« «	١٧٤٦
« « « بنسلفانيا	٦٣٠٢١١٥	« «	١٥٢٤
« « « نيورك	٧٢٦٨٨٩٤	« «	١٩٥١
« « « ايريجي	٢٢٣١٨٨٣	« «	١١٣٢
« « « مشغن	٢٤٢٠٩٥٢	« «	٨١٠
« « « انديانا	٢٥١٦٤٦٣	« «	٨٥١
« « « ميتشوستس	٢٨٠٥٣٤٦	« «	٦٥٤
« « « تكس	٣٠٤٨٧١٠	« «	٨٥١
« « « كرويلينا الشمالية	١٨٩٣٨١٠	« «	٢٦٦
« « « تنسي	٢٠٢٠٦١٦	« «	٢٩٨
« « « ويسكنسن	٢٠٦٩٠٤٢	« «	٧٣٢
« « « كنكي	٢١٤٧١٧٤	« «	٣٣٨

عدد سكان ولاية جورجيا	٢٢١٦٣٣١	عدد صحافتها	٣٩٥
« « « مسيسيبي	١٥٥١٢٧٠	« « «	٢٥١
« « « منسوتا	١٧٥١٣٩٤	« « «	٧٧٠
« « « الاباما	١٨٢٨٦٩٧	« « «	٢٣٠
« « « فرجينيا	١٨٥٤١٨٤	« « «	٢٤٩
« « « نيوجرسي	١٨٨٣٦٦٩	« « «	٣٩٠
« « « اركنسس	١٣١١٥٦٤	« « «	٢٨٩
« « « كروينا الجنوبية	١٣٤٠٣١٦	« « «	١٥٦
« « « لوزيانا	١٣٨١٦٢٥	« « «	٧٣٦
« « « كلفرنيا	١٤٨٥٠٥٣	« « «	٧٣٨
« « « فلوريدو	٥٢٨٥٤٢	« « «	١٨٣
« « « ماين	٥٣٩٧٠٠	« « «	١٥٨
« « « كولوريدو	٦٩٤٤٦٦	« « «	٣٧٤
« « « كنتكت	٩٠٨٤٢٠	« « «	١٧٣
« « « غربي فرجينيا	٩٥٨٨٠٠	« « «	٢١٧
« « « نبراسكا	١٠٦٦٣٠٠	« « «	٦٥٩
« « « ماريلند	١١٨٨٠٤٤	« « «	٢٠٦
« « « اوكلاهوما	٣٩٨٨٣٣١	« « «	٣٠٣
« « « داكونا الجنوبية	٤٠١٥٧٠	« « «	٣٩٣
« « « نيومكشر	٤١١٥٨٨	« « «	٩٤
« « « اورغن	٤١٣٥٣٦	« « «	٢٤٠
« « « رودايلند	٢٢٨٥٥٦	« « «	٥٩
« « « واشنطن	٥١٨١٠٣	« « «	٩٩
« « « يوتا	٢٧٦٧٤٩	« « «	٨٣
« « « مقاطعة كوليبيا	٢٧٨٧١٨	« « «	٨٢
« « « داكونا الشمالية	٤١٩١٦٤٦	« « «	٢٣٣
« « « فريمونت	٣٤٣٦٤١	« « «	٧٦

عدد سكان ولاية مقاطعة الهنود	٣٩٢٠٦٠	عدد صحافتها	١٦٤
« « «	٤٢٣٣٥	« «	٣٥
« « الاسكا	٦٣٥٩٢	« «	٤٥
« « اريزونا	١٢٢٩٣١	« «	٦٦
« « ايدهو	١٦١٧٧٢	« «	٩٩
« « دلوar	١٨٤٧٣٥	« «	١٤٠
« « نيومكسيكو	١٩٥٣١٠	« «	٦٣

يظهر من مطالعة هذا الجدول الذي جمعته بعد بذل الوقت الطويل ان نفادا اصغر ولاية في الولايات المتحدة بعدد سكانها ٠ فهم يبلغون ٤٢٣٣٥ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم كما ترى يبلغ ٣٥ جريدة ومجلة اي انه يصيب كل ١٢٠٩ انفس منهم جريدة واحدة ٠ هذا عدا ما يرد عليهم من جرائد سائر الولايات ومجلاتها وولاية الاسكا تحجب فوق ولاية نفادا في عدد السكان ٠ دع عنك عدم استجارها في الحضارة والعمران بداعي اقليمها البارد جداً ومع نقصيرها بذرائع الرقي عن شقيقاتها نقرأ ان لسكانها البالغ عددهم ٦٣٥٩٢ نفساً ٤٥ جريدة ومجلة اي انه يصيب كل ١٤١٢ نفساً منهم جريدة

وقس على ولايتي نفادا والاسكا بقية الولايات وقابل بين عدد سكان كل منهما وعدد جرائدها ومجلاتها ولا سيما احط مقاطعة في الجمهورية بمعارفها وعلومها واسباب تقدمها الا وهي مقاطعة بقايا ذلك الشعب القديم شعب سكان اميركا الاصليين الهنود الذين مازال اكثرهم عاشاً عيشة الممجية — قابل تجد ان لكل ٢٤٥١ نفساً منهم جريدة فعدهم ٣٩٢٠٦٠ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم ١٦٤ جريدة ومجلة ثم قابل بين عدد سكان الجمهورية الاميركية وعدد جرائدها وبين عدد سكان البلاد العثمانية وجرائدها وتأمل في الفرق واعتبر وانح باللائحة على مسببي تأخرنا ونقهرنا

صحافتنا

لا اعلم وانا متحقيق الدار كم هو عدد صحافة ولاية سورية ٠ الا انني لا اخلها لتجاوز عدد الاصابع فقد اتصل بي ان غير جريدة منها دبت فيها الحياة روحاً من الزمن المدعو بزمان الدستور ثم تمارضت او مرضت ومضت لملافة ربهسا وانه لم يبق غير المتبسين

والعصر الجديد والراوي وحط بالخرج في دمشق والاخاء في حماة وحمص في حمص
وثنتان او ثلاث لم اقف على اسمائها

في اعظم مدن العربية

في القرن العشرين الذي اتصل فيه بلاد العالم بعضها ببعض اتصال شرايين الجسم
واختلطت شعوبها اختلاط الحابل بالنابل — في القرن الذي قويت فيه شوكة العلم —
في القرن الذي كثر فيه الثورات والنهضات وظهرت الاختراعات والاكتشافات الا
يوجد في اعظم مدينة في البلاد العربية — في مدينة من اغرق مدن الدنيا
بقدمها — في بقعة من افضل بقاع المعمورة بارضا وسمائها واقليمها وخبراتها — في
دمشق اكثر من خمس اوست جرائد تستحق ان تسمى جرائد ؟

كثرة قرائهم وقلة قرائنا

عدد سكان ولاية نفاذا في اميركا يقل عن سكان صالحة الشام على ما ارجح
ولا يزيد كثيرا عن سكان حي نصارى دمشق ولا وثلث ٣٥ جريدة وللدماشة البالغين
ثلاثمائة الف نفس وثيف خمس اوست جرائد او لكل ستين الفا منهم جريدة وقراء
الصحف منهم لا يزيدون عن خمسة بالالف على ما أقدر واظن ان نقديري هذا في محله .
فالطامة الكبرى ليست فقط بقلة جرائد دمشق بل بقلة عدد مشتركيها . فلجريدة
حقيرة في الجمهورية الاميركية العظمى مشتركون وقارئون اكثر من أكبر وأقدر وأشهر
جريدة في دمشق

مكانة المقتبس من جريدة اميركية كبرى تطبع ستين الف نسخة يوميا
هذا المنتسب على شهرته الواسعة ومقدرة صاحبه المشهورة بين الناطقين بالضاد في
مشرق الارض ومغربها وبين الكثرين من الاميركيين في غربي الولايات ^(١) يقال
انه لا يطبع يوميا اكثر من ثلاثة آلاف نسخة يوزع منها الفين وخمسمائة نسخة على
المشركين والقارئین وخمسمائة نسخة على رصفائه ومكاتبه في الجهات في حين ان مكانة
المقتبس المعنوية لا تنقص مكانة عن مكانة صحيفة اميركية كبرى تطبع يوميا ستين
الف نسخة كبيرة

(١) لقد نقلت عشرات مقالات المقتبس (المجلة والجريدة) الى كثير من جرائد

ومجلات الاميركيين في غربي الولايات المتحدة وتهال لها غير واحد من اكابر الكتاب

مقابلة وانتقاد

في عاصمة نبراسكا البالغ عدد سكانها ٦٥ ألفاً عدة جرائد ومجلات ناجحة منها جر يدتان عظيمتان سبق ذكرهما تشغل كل منهما بناية عظيمة ومعدل ما تنطبعة احدهما يومياً خمسون ألف نسخة وما تنطبعة الأخرى اربعون ألف نسخة وبكل حرية اقول ان معنويات تينك الجر يدين الخطيرتين لا تفوق معنويات المقتبس وانما تفوق بما لا يتناسب بكثرة القارئين والمشاركين وتعدد الصفحات وكبر الحجم وبشيء معنوي هو انك تقرأ عنواناً لكل كتابة او خبر في تينك الجر يدين تفهم منه ما يرمي اليه الكاتب قبل ان تطالع الكتابة او المقالة او الرسالة وتري الصور الكثيرة المهمة في كل عدد منهما كل يوم ولا سيما عدد الاحد الكبير البالغ اربعاً وعشرين صفحة كبيرة تقرأ فيه مقالات مشاهير وشهيرات الكتاب والكاتبات في اوربا واميركا

واما المقتبس فانك لا تستطيع ان تفهم شيئاً من كثير من مقالاته ورسائله واخباره الا بعد ان تقرأ الكتابة كلها واذا كانت طويلة فتضطر احياناً الى قراءة العمود او العمودين او الثلاثة الاعمدية منه لتلم بالموضوع او تقف على مقراه ومرماه ومن حين صدور اول عدد منه الى يومنا هذا لم ارَ ولم يرَ غيري صورة فيه قدامياً . فاذا كان الداعي الى ذلك هو قلة وارادات المقتبس المادية فيعذر واذا كان الداعي هو ان الدين الاسلامي ينهي عن نشر الصور فهل لصاحب المقتبس اولغيره من ائمة الدين ان ينشروا بياناً شافياً بهذا الباب لعذرنا ونقنع . ان الدين الاسلامي الكريم كتب شرائعه ونشرت في زمان هو غير زمان القرن العشرين وما انطبق على ذلك الزمان لا ينطبق على هذا الزمان ولكل عصر حاجات لا توافق حاجات العصور التي سبقتها واذا كانت الصور من بقايا آثار الوثنية التي كانت في اوج مجدها وعزها في اول عهد ظهور الاسلام فعلم القرن العشرين قد محات تلك الآثار او كاد وصار يفهم العالم والجاهل اليوم ان الغرض من نشر الصور هو للافادة التي تنقاضها اليوم حاجة عصر النور لا للعبادة التي كانت تنقاضها حاجة عصر الظلمة في القرون المتوسطة

صحف العرب في اميركا

قرأ الصحف العربية في ولايات الاتحاد معدودون ومعدودون فعدد الناطقين بلغة قریش فيها لا يتقصون عن مئة وخمسين ألف نفس ومع ذلك ترى صحافتهم أكثر

عدداً واكبر حجماً واحسن تبويماً وانظف ورقاً من صحافة ولاية سورية بل ارق بادياتها . وشاهدي او دليلي على ذلك جريدة الهدى اليومية الصادرة في نيورك فانها مع كونها في بلاد غربية نائية عن موطن اللغة العربية فهي تطبع نحو خمسة آلاف نسخة كل يوم ذات ثمانى صفحات كبيرة حافلة بالمقالات المحبرة والاخبار المهمة ومزينة بالرسم الزاينة الى اغراض نافعة واذا حققت وجدت ان ما تطبعه الهدى وحدها كل صباح لا يقل عما تطبعه جرائد ولاية سورية بمجموعة

لرم وعتاب

لا أريد ان أنسب الى اني احرق الأرم واورث نيران المناظرة لغاية او نكابة بين المستغربين منزلة المهاجرين من المتخلفين والدايين عن حياض المهاجرين فلهؤلاء مكانة سامية ابدعها جدم وكدم ولاؤلك بشعر يرضهم عيون لا تبصر واجسام لا تشعر واغراض كلها امراض وانما الوم بل اعتب على ولاية رجالها ونساولها واولادها لا يقل عديم عن مليون نفس هم عرب في عرب — على ولاية شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وسماؤها وارضها واطوارها ووهادها وسهولها وعضابها واشجارها وانهارها وعمرت بالعرب وتخص العرب وليس لم ولها على الاقل جريدة تطبع ما تطبعه جريدة عربية في ديار العجمية

كيف يأتي الاصلاح

الاصلاح جاء ويحيى وسيجي من طريقين اما من طريق الحكومة واما من طريق الشعب ومثال الاول حكومة يابان ومثال الثاني الجمهورية الفرنسية والجمهورية الاميركية والانتداب العثماني لم يأت من طريق الحكومة ولا من طريق الشعب من حيث مجموعه بل من طريق الجيش . اما والحكومة العثمانية منصرفه قواها جملة الى حل مسائلها ومشاكلها وقد بدا حتى الآن انها لا تكثر او لا تريد ان تكثر بالعربية حيث ام مانت فقد تحتم على ابناءها ان يعلوا منارها ويحموا ذمارها ويحملوا لواءها وهذا لا يكون فقط بالاحتفاظ ببقايا تلك الكتب العتيقة الباقية في مذاهب سيبويه ونفطويه واضرابها مثلاً بل يكون في نشر الصحافة الحرة بكثرة في المدائن وفي القصباء وفي المديرية وفي الضواحي والنواحي فالصحافة الحرة الصادقة بلا مدافع اكبر كلية للدولة واكبر مدرسة الامة واكبر جامعة الثورات الادبية المحطمة قيود الجهل والظلم وللنهضات

الجلابة رفعة الندر ووفرة الفخر ويقاس رقي الام برقي صحافتها فكل امة لها صحافة راقية لها منزلة راقية في السياسة والاجتماع والآداب والعمران والعرفان صحافة هذا الدور هي غيرها في الماضي

لم تكن الصحافة موجودة بعرفي في دور نهرون القرن العشرين . فذلك التي كان العبيد المستبدون يدعونها صحافة لم يكن اكثرها الا وريقات او نشرات لنشر آيات التقديس والتدليس والتدنيس بل لاذاعة المين كل المين والتوبة كل التوبة والتجهيل كل التجهيل والتضليل كل التضليل وكان الاستذلال والاستعباد يقضيان بدفن الحقائق واستحياء المخارق . اما وقد عدت الى الشعب بعض حقوق المعطاة له من الله فمن الغضاضة على الصحافة ان تستر العيوب والعورات وكل صحافة لا تدل الدولة والامة على حسناتها ومساكناتها بكل مافي كلمة الحرية من معنى الحرية لا تدعى صحافة ولا يرجي لامتها وحكومتها صلاح واصلاح

الذنب ذنب الشعب

نعم ان مضمار الانتقاد اوسع في اميركا منه في الدولة العلية بداعي تقييد الصحافة العثمانية واطلاق حرية اميركا غير ان الذنب على الشعب . فشعب اميركا مطالب وناهض وقائم والشعب العثماني قاعد وجامد وثائم . النواب هم الذين قيدوا حرية الصحافة وهم ضيقوا الخناق عليها والشعب هو الذي انتخب اولئك النواب وارسلهم الى عاصمته وهو الذي يدفع مرتباتهم ونفقاتهم فالشعب هو سيد النواب والنواب خدامه ولم اسمع ولم يسمع غيري ان ٢٥٠ خادما يستطيعون ان يستبدوا بثلاثين مليون (سيد) فيا ايها الشعب من نوابك بتعديل قانون صحافتك واحملهم على تلبية امرك فان لبوه كان مانريد والا فاقبل لم ظهر الجن سيف الانتخاب المقتيل وانتخب الاصلح فالاصلاح حتى تبلغ ضالتك وتعمل عمل البلاد الشعبية . فهل من سامع او عجب لهذا الصوت الضعيف اميركا : يوسف جرجس

زخم

(المقتبس) ان اعلم عائق يحول بيننا في هذه المجلة وفي جريدة المقتبس وبين وضع الصور اللازمة للتبليغ في يادي الامر هو عدم اضطلاعنا بهذا الامر وعدم

وجود مصور ماهر هنا يحسن صور على المناحي المطلوبة . والاسلام لا يمنع من التصوير الا المجسم والمنع تحت شروط ايضا .

ثم ان قلة رواج بضاعة العلم والادب من اكبر الدواعي في تخلف صحافتنا العلمية والسياسية كما قال صديقنا صاحب المقالة فمجلة المنتبس على شهرتها لا تطبع سوى الف نسخة في الشهر وجريدة المنتبس على سعة انتشارها لا تباع اكثر من الف نسخة في اليوم فمن لنا يوم تطبع فيه صحفنا عشرة آلاف فقط لتفقد الصحافة الغربية حذو التذة بالقذة ومكانة الجرائد بمكانة قرائها ولا يحيط العامل الاعظم في رقيها

عمران الكرك

لم نكد الحال تستقر في حوران على ما يجب بعد ان ادبت الحملة العسكرية اشقياء الدروز في جبل حوران حتى ارادت الحكومة ان تحصي نفوس سكان لواء الكرك كما احصت سكان لواء حوران فنشر السكان وانتفضوا على الحكومة وصادف ان قطعت مراتب بدوي في صخر والخرشان وغيرهم ممن كانوا يتقاضون انعاماً من السلطنة منذ القديم لحراسة الطرق فتكونت هذه الاسباب وقام البدو الذين حرموا من رواتبهم وهي اربعة آلاف ليرة في السنة وسطوا على بضع محطات من السكة الحديدية الحجازية واقعة على طول زهاء مائتي كيلومتر في اراضي اللواء وخربوا بعض القضبان الحديدية ونهبوا احد القطارات التي كانت قادمة من المدينة وسلبوا ما كان مع ركبها من مال ومتاع مما لا يقل شيء عن عشرين الف ليرة وقتلوا وجرحوا بعض موظفي الخط الحديدي وكان ذلك على بضع ساعات من مركز لواء الكرك وقام الكركيون بادبهم وحاسرهم واطالوا يد الاعتداء على التجار والموظفين والحامية ولم يلجأ الموظفون الى قلعة الكرك الحصينة وبقوا فيها عشرة ايام ريثما وافاهم المدد لقتضت الثورة عليهم ولا يعلم الى الآن عدد من هلك في الفتنة من التجار والضباط والموظفين والجنود ممن كانوا يقولون في الارياض لاتمام اعمالهم وقد حرق نيران الفتنة الاماكن الاميرية كلها ونهبت نقود الخزينة ونقود ادارة حصر الدخان ونهبت دور الموظفين واحرق قسم منها وخرب قسم عظيم من المدينة باطلاق القلعة المدافع عليها وقطع العصاة الاسلاك البرقية وهاموا على وجوههم في البراري والجنود بتأثرهم الآن في السهل والوعر .

وقد نوى اهالي الطفيلة واهالي معان القيام بمثل هذه الفظائع في الوقت الذي قام فيه الكركيون بشورتهم ولم يؤثر عنهم شيء مضر

واذ كان النزاع الآن قائماً في ذلك الصقع بين الحكومة والسكان وبعبارة أخرى بين المدنية والهمجية رأينا ان نلمّ بعمرانه وتاريخه، وجغرافيته واقتصاده واستعداده للارتقاء فنقول نقلاً عن مصادر عربية وافرنجية وتركية كثيرة: يمتد هذا اللواء من وراء قصر الزرقاء في الحد الجنوبي من لواء حوران الى مدائن صالح جنوباً وهي مسافة يتقطعها راكب المطايا في العادة في نحو خمسة عشر يوماً اما عرضه فمن الغرب نهر الأردن (الشريعة) وبحيرة لوط (البحيرة المنقطة او البحر الميت) ووادي العاربة والوجه، والعقبة الفاصلة بينه وبين فلسطين الى بادية الشام شرقاً فالجوف فيجد وهذه المسافة لا تقل عن خمسة ايام وهي تبلغ اكثر اذا تجاوزنا البادية الى وادي السرحان في الشرق.

وارضه سهلية جبلية وجباله لا ترتفع كثيراً عن سطح البحر وتدعى باسماء البلاد التي بقربها الآن واشهر انهار اللواء وادي الزرقاء ينبع من رأس عمان قالـ ياقوت: الزرقاء موضع بالشام بناحية عمان وهو نهر عظيم في شعار ودحال كثيرة وهي ارض شبيب التبعية الحيري وفيه سبع كثيرة مذكورة بالضراة وهو نهر يصب في الفور. ووادي الصلت وهو ينبع من قصبة الصلت ووادي السير ينبعث من قرية وادي السير ووادي حسان ينبض من محل اسمه حسان ونهر زرقامعين ووادي الوالا ينبع بالقرب من ام الرصاص وينضم اليه وادي الموجب وهذا الوادي يتألف من اللجون الواقع في منتصف الطريق بين القطرانة والكرك وجميع هذه الاودية او الانهار تصب في نهر الأردن او الشريعة ومن انهار هذه البلاد وادي الكرك ينبع في قصبة الكرك ويصب في بحيرة لوط ووادي الحسا تجتمع اليه مياه الشراة ومياه وادي موسى وبتابع شق فيصب في بحيرة لوط. وهذه الانهار تفيض كعادة معظم الانهار شتاء بما ينهل اليها من السيول وتجف قليلا في الصيف. ومن الانهار مالا يجرى الا في الشتاء مثل نهر التمد ولا ينتفع بهذه المياه في السقيا حتى ان نهر الزرقاء الذي يعد من الانهار المتوسطة لا يقي اكثر الاراضي التي تحفاه بل هي تشرب بماء المطر وكذلك حال اراضي البلاد كلها ما خلا بعض الحدائق القليلة في وادي موسى والصلت

ووادي الموجب ووادي الحسا من اعرق اودية سورية قد ينزل الراكب من ذروتها الى قرارها في ساعة ونصف ويصعد اليها في اكثر من ذلك

وفي هذا اللواء مناجم كثيرة فبالقرب من زرقا معين على ساعتين من مآدبا جبال ملونة ففيها جبل اصفر وآخر احمر وبالقرب من بحيرة لوط وحمة عفرة من اعمال الطفيلة معادن الكبريت والقصدير والبتروول والنحاس . وزرقا معين هذه من الحمامات البخارية اشبه بحمام ابي رباح بالقرب من تدمر . وهي ثلاث حمامات يستحم المستحمون ببخارها ولا يجسر احد ان يمد يده اليها . ويقصدها سياح الافرنج كما يقصدون حمة عفرة من بحيرة لوط حتى اذا بلغوا شاطئها يركبون على الدواب ثلاث ساعات

وتقل الحراج في هذا اللواء واهمها ما كان بالقرب من بلدة الصلت وفي ارض بني حميدة وهي تبعد عن قصبة الكرك خمس ساعات ويمتد هذا الحرج من الزرقاء قرب معين الى وادي بني حماد وطوله نحو عشر ساعات وفي قضاء الطفيلة حراج واسعة يمشي الانسان بظل لظاها وسنديانها طويلاً ولاسما في جنوبه قرب قرية ضانا

واكثر الاشجار المثمرة في اللواء التين والعنب والزيتون واكثره في الصلت والطفيلة والكرك والعراق وخزيرة . واهم الحبوب التي يستنبثونها الحنطة والشعير والذرة والعدس والحمص يصدرونها الى فلسطين او الى دمشق وتباع بعشرات الالوف من الليرات وقبل ان تخترق السكة الحجازية هذا اللواء كانت صادرات بلاد الكرك تباع في فلسطين او تبقى في ارضها لبعد المسافة بينها وبين دمشق واقربها لا بقل عن خمسة ايام على الجبال ومعظم سكان هذا اللواء بادية رحالة ولا تجد ساكنين في البيوت الا في الكرك

والصلت والشوبك ومعان والطفيلة وتيمه وصتفة وبصيرة وضانا وخزيرة والعراق وكثيرة ومآدبا وام الرمان وعمان والفحيص ووادي السير وناغور وعين صوبلج وحصيفة وياجوز وعيون الحمر وبادودة ولبن وام العمدة وزيزاء . ويخمن الناس نفوس الاهالي بمئة وخمسين الفا نحو خمسهم حضر والباقي بادية ينزلون في بيوت شعر عشائر وقبائل وانغاذ اولكل عشيرة موقع خربة يتخذون من الابار انابيب يخرنون فيها حبوبهم وهم ينتجعون الكلا . وفي قضاء اللواء اي الكرك ثلاثون الف ساكن منهم اربعمائة بيت مسيحيون والباقي مسلمون وفي قصبة الصلت عشرة آلاف منهم الفان من المسيحيين وليس بين العرب الرحالة اناس من المسيحيين واهل مآدبا كلهم مسيحيون .

قال القرطبي في (معان) انها مدينة صغيرة على قارعة طريق الركب الشامي وهي على عشر مراحل من دمشق كان غالب اهلها نصارى . والآن ليس فيها احد منهم ولقد نظمت الحكومة ادارة هذه البلاد سنة ١٣١٠ على الحساب الهجري وكانت

حكومتها من قبل بيد المشايخ والزعماء فجعلت الكرك مركز اللواء وسمت سائر اللواء باسمه وقسمته الى اربعة اقصية وهي قضاء المركز وقضاء الصلت وقضاء الطفيلة وقضاء معان والى سبع نواح وهي عمان وديبان ومادبا وزيزاه (جيزة) وتبوك وخنزيرة والشوبك .

وديبان هي شمالي ضفة ارنون (الموجب) على نجرة اميلا من مصبه في بحيرة لوط و ٦٠ اميلا شمالي الكرك وهي المعروفة في الكتب المقدسة باسم ديبون اوديمون وكانت احدى منازل بني اسرائيل^(١) واشتهرت ديبان بالحجر الموائى الذي وجد فيها سنة ١٨٦٨ وهو حجر اسود طوله اكثر من ثلاثة اقدام وعرضه نحو قدمين وسمكه نحو قدم وفيه ٣٤ سطراً من الكتابة الفينيقية العبرانية قرئت كلها وهي من ميشع بن خموسا ملك موآب ملخصها انه بنى هذا المقدس لكموش لانه خلصه من كل مشد وجعله ينظر بازدراء الى اعدائه كلهم قال قد ضايقت عمرى ملك اسرائيل موآب اياماً عديدة . ملك ارض ميدبا وسكن هناك هو وابنه ٤٠ سنة اهلكه كموش على عهدي حينئذ بليت بعل معون ورمعت قريتايم . بنى ملك اسرائيل عطاروت فهاجمت المدينة واشتدتها وقتلت كل سكانها قال لي كموش اذهب خذ نبأ من اسرائيل فذهبت وحاربتها من الفجر الى نصف النهار فاخذتها وقتلت سبعة آلاف رجل وجرت آية يهوه على الارض امام كموش واقام ملك اسرائيل مدة حربه معي في ياهص فطرده كموش من امامي . انا هو الذي بنى عرو وغير (عراعر) وعمل طريق ارنون انا هو الذي بنى بيت باموت التي اُخربت انا هو الذي بنى نبوسور وديون وبيت دبتايم وبيت بعل معون وقال لي كموش انزل وحارب حوروناي وخذها له .

اما مدينة ميدبا ويقال لها الآن مادبا فقد تعاقب عليها بنو اسرائيل وموآب وعمون مراراً وهي على مسافة ٦ اميال من حشوبت بين الشرق والجنوب الشرقي و ١٤ ميلا شرقي بحر لوط وكانت في القرون الاولى مركزاً مهماً للدين المسيحي ومن آثارها الآن كنيسة قديمة قيل هي من القرن الخامس وقد وجدت بها سنة ١٨٩٧ خارطة الارض المقدسة مرسومة بالفيلسفا رسماً متقناً يظهر فيه نهر الأردن وكثير من المدن الرئيسة وكانت مادبا في الاصل مدينة ويؤخذ من الكتابة التي أثرت عن الملك ميزا من القرن الحادي عشر ق م انها أُعيدت الى الموائيين لتصير بعد ذلك تحت تحكم النبطيين اي

العرب وكانت على عهد المكابيين قلعة مهمة استولى عليها هيركان واصبحت على عهد الرومان جزءاً من العربية الصخرية . والخرابة لم تزل في كنيسة الروم هناك وعثمان كما قال القرماني . مدينة قديمة خربت قبل الاسلام ولها ذكر في تاريخ الامريثيين وهي رسم كبير ويمر بجانبها نهر الزرقاء الذي على طريق الحاج الشامي وهي من اعمال البلقاء وهي من بناء لوط

واخصب ارض في هذا اللواء ارض البلقاء وهي واقعة بين الأردن والبرية ووادي الموجب والزرقاء . وتمتد من الصلت الى مادبا على مسيرة تسع ساعات وهي تزرع في الجملة قال القرماني : البلقاء كورة بين الشام ووادي القري بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الرقيم المذكور في القرآن فيما زعم بعضهم وفيها مدن عظيمة وقرى كثيرة الا انها دثرت وخربت فليس بها ديار ولا تلح نار . والقرماني كتب في القرن الحادي عشر وارض الصلت وهي عبارة عن مركزه وناحيته عمان ومادبا هي كما قال القرماني بلدة من اعمال الأردن بها قلعة يسكنها من يحفظها من قبل ملوك العثمانية وينبع من تحت قلعتها عيون كثيرة وتدخل البلد وبها بساتين كثيرة يجلب منها حب الرمان الى البلاد . ومن اراضي اللواء البائرة الجيدة التربة الشاغرة ارض الشراة المشهورة قديماً وهي تمتد من حصن الشوبك الى وادي موسى وفيها كلها مياه غزيرة وهي ذات تربة حسنة وكلها خراب اليوم . والشوبك على ١٩ ساعة عن الكرك كما ان وادي موسى على ٢٥ ساعة عن الكرك .

ولهذه البلاد تاريخ مجيد قبل الاسلام وبعده ويكفي ان من اعمالها وادي موسى — على ٦٤ ميلاً من جنوبي الكرك و ٥٤ ميلاً عن الجنوب الشرقي من بحيرة لوط — المعروف عند الافرنج بيترا اي العربية الصخرية او سلع ومن اعمالها بلاد مآب (موآب) المشهورة في تاريخ النصرانية والظاهران سلع هي غير بيترا وليست مرادفة لها ولا يعرف اليوم اسم بيترا الاصيل ولا تاريخها كما يتبين ويظهر من النواويس القديمة فيها ان تاريخها يرد الى القرن السادس ق م ولم يجر ذكر للبطييين اي العرب الذين استولوا على البلاد بعد الادوميين الا في سنة ٣١٢ ق م اسبى ايام ارسل الملك انتيغونس قائده اتني ثم جاء القائد ديمتريوس ليستولي على بيترا عاصمة البلاد فاحرق القائدان في فتحها وكانت المدينة في الغالب صغيرة وهي حيث وجدت النواويس القديمة ومعظمها على اكمة هناك لا تمتد الى الوادي . حازت هذه المدينة مكانة كبرى لخصانتها ومناعتها امام غارات

سكان البادية فكانت مخزن القوافل النبطية لوقوعها على طرق البحر الاحمر اي القلزم ومصر وغزة ودمشق وتدمر .

واول امير نبطي ذكره التاريخ اسمه ارتياس الاول . وامتد سلطان النبط على عهد المكابيين الاولين الى شرقي الأردن ولما ضعفت دولة البطالسة والسلفيين عاد النبط فقوي سلطانهم بسرعة في القرن الثاني قبل الميلاد . وكانت حدود هذه المملكة على عهد ارتياس الثالث نحو سنة ٨٥ تمتد الى دمشق ولقب ملكها اذ ذاك « نجب اليونان » ويستدل على ان المدينة اليونانية كانت قد استحوكت او اصرها في ارض النبط من المصانع والنواويس التي عثر عليها وهي تنم باجلى بيان عن مدينة يونان ^(١) وفي ايام هذا الملك حدث المصاف الاول بينه وبين الرومان فاضطر ارتياس ان يوذي الجزية اليهم . واضطر النبطيون على عهد الامبراطور بومبي واخلافه ان يقدموا منهم الحين بعد الآخر جنوداً مساعدين للرومانيين ولكن ظلت مملكتهم حرة قوية وانضمت على عهد ارتياس الرابع الى مملكة دمشق . وفي سنة ١٠٦ للميلاد جعلت بترا واعمالها كلها اسيء العربية الصحربة ولاية رومانية وقد انشأ الامبراطور ثراجان طريقاً عظيماً وصل فيه بين سورية والبحر الاحمر . وبعد ذلك انقسمت هذه الولاية . وفي نحو سنة ٣٥٨ أصبحت بترا ولاية مستقلة برأسها تحت اسم مملكة فلسطين اوفلسطين المسالمة . وان المصانع والعاديات الرومانية التي لم تبوح محفوظة الى اليوم لتدل بان بترا كانت على عهد الحكم الروماني قد بلغت شوطاً عالياً من العظمة والارتقاء ولم تبدأ بالسقوط عن مكانتها الا في نحو منتصف القرن الثالث للمسيح لارتقاء مملكة فارس ومملكة تدمر اللتين نازعتاهما في التجارة بل لان الفرس ونقوا الى تحويل التجارة عن مصارفها القديمة الى اصقاع الفرات والغليج الفارسي .

ولما فتح العرب هذه البلاد كان قدمي اسم بترا او كاد . وزعم الصليبيون لما جاؤا سورية فاتحين ان جبل هارون على مقربة من بترا هو جبل طور سيناء فانشأوا قصراً فخماً في ذروته المقدسة ومنذ ذاك العهد سقطت المدينة في تيه العدم الى ان كان القرن التاسع عشر وقد اكتشف سياح الافرنج ما فيها من العاديات وفيها ٧٥٠ ناووساً مهماً

(١) دليل بيدكر لفلسطين وسورية ١٩٠٦

وهي اهم تلك المصانع ومن العاديات ما التي تعد من اغرب ماصنع^(١) خزنة فرعون وهي هيكل علوه ٨٥ قدماً واسفله دار مربعة قطرها ٣٦ قدماً وعلوها ٢٥ وقال مؤرخو الفرنجة ان معنى سلع في اللغة العبرانية صخر فعدا اليونان والرومان هذه البلاد بتراي صخرأ ودعاها العرب الحجر وقالوا انها مدينة ثمود وانت الفرجة الصخرية الواقعة فيها المدينة هي صدع الصخرة الذي خرجت منه نافذة صالح والحقيقة ان سلع يفتح السنين وكسرها والجمع الساويع اسم عربي ومعناه الشقوق بين الجبال قال ابو زياد الاسلح طروق في الجبال يسمى الواحد منها سلماً وهو ان يصعد الانسان في الشعب وهو بين الجبلين يبلغ انلى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر يفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل مخدراً في فضاء الارض فذاك الرأس الذي اشرف من الوادين السلع ولا يعلوه الا راجل . قال ياقوت: وسمع حصن بوادي موسى بقرب بيت المقدس وبهذا لا يصح ان يطلق سلع على وادي موسى باجمعه كما نوه بعضهم . والحجر كما قال ياقوت . اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام قال الاصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى على يوم بين جبال وبها كانت منازل ثمود . قال الله تعالى (وتحتون من الجبال بيوتا فارحين) قال ورأيتها بيوتا مثل بيوتنا في اضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الاثالث وهي جبال اذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لا يكاد يرتقى كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدا احد الا بمشقة شديدة وبها بشر ثمود التي قال الله فيها وفي النافذة « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » قال جميل :

اقول لداعي الحب والحجر بيننا ووادي القرى لييك لما دعانيا

فما احدث النأي المفرق بيننا سلوا ولا طول اجتماع ثقالنا

اما بلاد مواب او ماب فهي جزء من العربية السعيدة او الصخرية بين بحيرة لوط فيما وراء عبر الأردن والبادية على ضفتي نهر ارنون وكانت عاصمة الموآبيين قلعة وباط مواب . والموايون هم ابناء لوط لا يعلم من تاريخهم الا انهم كانوا اولي بأس شديد يخاف اليهود عاديتهم لغزوم ايام الحين بعد الآخر واستولى الموآبيون على الامراتيين

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

ثلاثي عشرة سنة (١٣٣٢ - ١٣١٤) عَلَى عهد حكومة القضاة وقد غلب شاول (جالوت) الموابلين وخضعوا لسلطان داود مؤقتاً ثم استعبدهم الفرس فالمصريون فالسوريون فالاسكندر فالرومانيون وعلى عهد العرب امتزجوا بهم وفتوا فيهم كما فئت شعوب كثيرة في الفاتحين مع الزمن وآثروا الانضمام اليهم بسائق الدين والمصلحة الدنيوية . اما مدينة الكرك فكانت هي عاصمة الموابلين على ما يقول بعض الجغرافيين وكان اسمها كرك مواب .

وكان ^(١) مقام الموابيين جنوبي ارنون وامتدوا جنوباً الى ادوم وهم من نسل لوط اتحدوا عَلَى اخوتهم بني عمون وطردوا الرفائيين وسكنوا ما كانهم حاربهم شاول وانحصر بهم بحسب رواية التوراة وعند ملك مواب اودع داود ولديه من وجه شاول وقيل ان ملك مواب قتلها فقتل داود منهم ثلاثين الفا ووضع الباقين تحت الجزية وقد ساعدوا بختنصر في حصار اورشليم واسترجعوا بعد السبي املاكهم القديمة .

وعند ياقوت بلاد ماب مدينة واحدة فقال وهي على طرف الشام من نواحي البلقاء قال احمد بن محمد بن جابر توجه ابو عبيدة بن الجراح في خلافة ابي بكر في سنة ١٣ بعد فتح بصرى بالشام الى ماب من ارض البلقاء وبها جمع العدد فالتجها عَلَى مثل صلح بصرى وقيل ان فتح ماب قبل فتح بصرى وينسب اليها الخمر قال حاتم طي :
سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من ماب الى زغر
بلاد امريء لا يعرف الدم يته له المشرب الصافي ولا يعرف الكدر
وقال عبد الله بن رواحة الانصاري :

فلا وابي ماب لتأثنتها وان كانت بها عرب وروم

ولم يقل ياقوت ان الكرك عاصمة بلاد ماب بل قال انها قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين ابلة وبحر القلزم واليت المقدس وهي عَلَى سن جبل عال تحيط بها اودية الا من جهة الريض

وسيف المرأة الوضية والى جنوبي نهر الزرقاء الى نهر الموجب البلقاء وشمالها جبل الصلت وليس فيهما موضع مسكون الا قرية الصلت ومن مواضعها القديمة جلعاد وعمون وهي الآن عمان وحشون وهي الآن حسيبان والعال وثبا وماعين وعراعر وديبان وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديماً ارض بني عمون والى جنوبي النهر الموجب وهو نهر

ارنون ايضا الى الاحساء ارض الكرك وهي ارض موآب او ارض قوم لوط ومن قراها الكرك وهي كبر موآب وربة هي رابة موآب وزعراء ويقال انها صاغر التي هرب اليها لوط لما نجا من سادوم

وقال ياقوت ان البلقاء كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبحودة حنطتها بضرب المثل ومن البلقاء قرية الجبار بن التي ارادها الله تعالى بقوله « ان فيها قوماً يجاربون » والبلقاء مدينة الشراة شرارة الشام وهي ارض معروفة ونسب اليها قوم من الرواة والنسبة اليها بلقاوي . وقال ان الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحيمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في ايام بني مروان ونسب اليها بعض الرواة والنسبة اليها شروني .

وذكر ياقوت ايضا ان عمان بلد في طرف الشام وكانت قصبة ارض البلقاء وروى عن ابي عبد الله محمد بن احمد البشاري عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ورستانها البلقاء وهي معدن الحبوب والانعام بها عدة انهار وارحية يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مستف الصحن شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطل عليها وبها قبر اورياء النبي عليه السلام وعليه مسجد وملعب سليمان بن داود عليه السلام وهي رخصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطريق اليها صعبة قال الاسودس بن محمد الانصاري

اقول عمان وهل طربي به
اصاح الم يحزنك ربح مريضة
وان غريب الدار مما يشوقه
وكيف اشتياق المرء يكي صباية
وقد كنت اخشى والنوى مطمئنة
اريد لانسى ذكرها فيثوطني
وقال الخطيم العكلي الحسن يذكر عمان (يفتح العين)
اعوذ بربي ان ارى الشام بعدها
فذاك الذي استكرت يا ممالك
وانت الماضي العزم لو تعلمينه

الى اهل سلع ان تشوقت ناعم
وبرق تلالا بالمقيمين لاعم
نسيم الرياح والبروق اللوامع
الى من نأى عن داره وهو طامع
بنا وبكم من علم بالله صانع
رفاق الى ارض الحجاز رواجع
وعمان ماغنى الحمام وغردا
فاصبحت منه شاحب اللوى اسودا
وركاب احوال يخاف بها الردى

ونسب اليها بعض الرواة والنسبة عمالي .

هذا ما قاله صاحب معجم البلدان وفي كلامه على بلاد ماب والبلقاء واسم المدائن كانت عاصمة تلك النكورة كلام لا يمكن للمرء ان يحزم بان البلدة القلاية كانت قاعدة البلاد والغالب ان الحكومة في الاسلام كانت تنقل في هذه المدن فتارة بعمان واخرى في الكرك والمعلوم من النصوص الآتية الذكر ان تلك البلاد كانت قبيل الاسلام وبمده يترون عامرة بالسكان وفيها قرى ومزارع كثيرة

وتاريخ هذه البلاد مبعثر جداً قبل الاسلام وبمده وليس لدينا من النصوص التي يستأنس بها الا ما رواه ياقوت في مجمعه من اسماء قرى كانت في وادي موسى ومواب والبلقاء قال : (مونة) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام وقيل مونة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف واليها تسب المشرفة من السيوف قال ابن السكيت سفي تفسير قول كثير

اذا الناس ساموكم من الامر خلة لها خلة فيها السهام المثل

ان الله للشم الانوف كأنهم صوامر يحلوا بمونة حبل

قال المهلب ماب واذرح مدينتنا الشراة على اني عشر ميلا من اذرح ضبعة تعرف بمونة بها قبر جعفر بن ابي طالب بعث النبي صلى الله عليه وسلم اليها جيشا في سنة ثمان وامر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال ان اصاب زيد جعفر بن ابي طالب الامير وان اصاب جعفر فبهد الله بن رواحة فساروا حتى اذا كانوا يتخوم البلقاء لنتيهم جموع هربل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مونة فالتى الناس عندها فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقاتل زيد حتى قتل فاخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل فاخذ الراية عبد الله بن رواحة فكانت تلك حاله فاجتمع المسلمون الى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتى قدم المدينة فجعل الصبيان يحذون عليهم التراب ويقولون يا فرار فررت في سبيل الله فقاتل النبي صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار لكنهم انكرار ان شاء الله وقال حسان بن ثابت :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمونة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله هم خير عصبة تواصوا واسباب النية تنظر

وقال : (الموجب) بلد بالشام بين القدس والبلقاء

وقال في (أبى) « بالضم ثم السكون ونفتح الون والقصر يوزن حبل » موضع بالشام

من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد حيث امره بالمسير الى الشام وشهر الغارة على ابني وفي كتاب نصر ابني قرية بموتنة

وقال: (اذرح) اسم بلد في اطراف الشام من اعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لارض الحجاز . وبين اذرح والجرباء ثلاثة ايام وقيل ميل واحد (والثاني اصح) واقل لان الواقف في هذه ينظر هذه (والجرباء) موضع من اعمال معان باللقاء من ارض الشام قرب جبل الشراة من ناحية الحجاز وهي قرية من اذرح وبينهما كان امر الحكمين بين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري

وقال: (زيزاء) من قرى البلقاء كبيرة يطوئها الحاج ويقام بها لم سوق وفيها بركة عظيمة واصله في اللغة المكان المرتفع ولذلك قال ذو الرمة

تحدّر عن زيزائه القف وارتنى
عن الرمل وانتادت اليه الموارد
وقال مليح

تذكرت ليلي يوم اصبحت قافلا يزواء والذكرى تشوق وتشغف
غداة ترد الدمع عين مريضة بليلى وتارات تفيض وتذرن
ومن دون ذكرها التي مطرت لنا بشرقى عمان الشرى والمعرف
واعملت من طود الحجاز نجوده الى الغور ما اجتاز الفقير وللفل

وقال: (السواد) نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها فيما احسب
وقال: (شثار) نقب شثار بكسر الشين نقب في جبل من جبال الشراة بين ارض البلقاء والمدينة على شرقي طريق الحاج يفضي الى ارض واسعة معشبة يشرف عليها جبال فاران وهي في قبلي الكرك .

وقال: (حرفة) قرية من نواحي مآب قرب البلقاء يقال بها قبر يوشع بن نون
وقال: (الصمان) من نواحي الشام بظاهر البلقاء قال حسان بن ثابت:

لمن الدار افقرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدا ربا فسكاة فالقصور الدواني

وقال: (لعلال) جبل بالشام مشرف على البثينة بين الغور وجبال الشراة .

وقال: (طفيل) تصغير طفل وادي طفيل بين تهامة واليمن عن نصر وبوادي موسى قرب البيت المقدس قلعة يقال لها طفيل عرندل قرية من ارض الشراة من الشام فتحت في ايام عمر بن الخطاب بعد اليرموك .

وقال : (جادية) قرية من عمل البلقاء من ارض الشام عن ابي سعيد الضرير
واليها ينسب الجادي وهو الزعفران قال : ويشرق جادي بهن مديف . اي مدوف .
وقال : (جبال) من قرى وادي موسى من جبال الشراة قرب الكرك بالشام
منها يوسف بن ابراهيم بن مرزوق بن حمدان ابو يعقوب الصبيحي الحبالي والحافظ
ابو القاسم .

وقال : (الرتبة) بلفظ واحدة الرباب عين الرتبة قرية في طرف الغور بين ارض
الأردن والبلقاء .

وقال : (زغر) قرية بمشارف الشام واياها عني ابو دؤاد الايادي حيث قال :

ككتابة الزغري زيدا منها من الذهب الدلامص

قال وقيل زغر اسم بنت لوط عليه السلام نزلت بهذه القرية فسميت باسمها وقال
حاتم الطائي

سقى الله رب الناس محكا وديمة جنوب الشراة من مآب الى زغر

بلاد امري فلا يعرف الدم بيبته له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

وقال : (المشارف) جمع مشرف قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من
اسمال دمشق اليها تنسب السيوف المشرفية رد الى واحد ثم نسب اليه . وفي مغازي
ابن اسحاق في حديث مودة ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع
عراق من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف .

وقال : (معان) بالفتح وآخره نون والمحدثون يقولون بالضم واياه عني اهل اللغة منهم
الحسن بن علي بن عيسى ابو عبيد المعني الازدي المعاني من اهل معان البلقاء والمعان
المنزل يقال الكوفة معاني اي منزلي قال الازهري : وسميهم مفعول وهي مدينة في طرف
بادية الشام تلقاه الحجاز من نواحي البلقاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشا
الى مودة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة فساروا حتى بلغوا
معان فاقاموا بها وارادوا ان يكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجمع من الجيوش
وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف فنهاهم عبد الله بن رواحة وقال انما هي
الشهادة او الظعن ثم قال

جلبتنا الخيل من آجاء وفرع نفر من الحشيش لها العكوم

حذوناهم من الصوان سبتا ازل كانت صفحته آدم

اقامت ليلتين من معان
فرحنا والجباد مسومات
فلا وابي مآب لانيها
فمبأنا اعنتها فجاءت
بذي لب كأن البيض فيها
اذا برزت قوائسها النجوم

وروي ياقوت عن ابي محمد الاعرابي في قول الراجز

يا عمرو قارب بينها تقرب
وارفع لها صوت قوي صلب
واعص عليها بالنقطيع تنضب
الا ترى ما حل دون المقرب
من نفع فلا فدياب المعتب

قال — فلا — من دون الشام والمعتب واد من مآب بالشام ومآب كورة من كور الشام ودياب ثانيا يأخذها الطريق

وقال: (تنهج) اسم قرية بها حصن من مشارف البلقاء من ارض دمشق سكنها شاعر يقال له خالد بن عباد ويعرف بابن ابي سفيان ذكره الحافظ ابو القاسم وقال: (التيه) الموضع الذي ضل فيه موسى بن عمران عليه السلام وقومه وهي ارض بين ايلة ومصر وبحر القازم وجبال الشراة من ارض الشام يقال انها اربعون فرسخا في مثلها وقيل اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراعص واية اراد المتنبي بقوله ضربت بها التيه ضرب القما راما لهذا واما لهذا

وقال: (الحميمة) بلد من ارض الشراة من اعمال عمان في اطراف الشام كان منزل بني العباس

وقال: (نقش) بكسر اوله وثانيه ونونه مشددة من قرى البلقاء من ارض الشام كانت لابن سفيان بن حرب ايام كان يهجر الى الشام ثم كانت لولده بعده

وقال: (النقيب) بالضم وهو تصغير نقب وهو معروف موضع في بلادهم بالشام بين تبوك ومعان على طريق حاج الشام

وقال: (وسادة) موضع في طريق المدينة من الشام في آخر جبال حوران ما بين يرفع وقرافر

وقال: (الوعيرة) كأنه تصغير الوعة حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى

هذا ما تيسر تلحقه من معجم البلدان وليس بين اسماء هذه البلاد شيء يعرف الآن

فما نحب الا قرية او قربان مثل عمان ومعان وماعدا ذلك فقد دثر واصبح خراباً ياباً تدل آثاره عليه وقد بدأ الخراب الحقيقي في هذه البلاد على عهد الصليبيين وكانت اشهر حصونها الكرك والشوبك فقد اخذ بغوذين^(١) من ملوك الصليبيين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من نقاد السنين والشوبك هي في رواية مسربة وقال القرمانى^(٢) : شوبك بلدة صغيرة كثيرة البساتين من اعمال الشام غالب اهلها نصارى وهي شرقي الغور على طرف الشام من جهة الحجاز وينبع من تحت قلعتها عينان وقلعتها على تل مرتفع مطل على الغور.

واستولى الصليبيون على الكرك وحصنها الملك فولوك تحميها شديداً حتى كانت صاحبها البرنس ارثلط كما يقول مؤرخو العرب او ارنولد كما يقول الافرنج من اشد الصليبيين عدواة المسلمين كان غزا الحرمين فنذر صلاح الدين يوسف بن ايوب ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان فسقط بيده اسيراً يوم وقعة حطين بالقرب من طبرية وبعث صلاح الدين فاستولى على الكرك

وفي الانس الجليل ان السلطان صلاح الدين لما كان في بلاد انطاكية لم يزل الحصار على الكرك وكان اخوه الملك العادل عين معه على حفظ البلاد وكانت صهره سعد الدين كمشه بالكرك موكلاً بحضاره فراسل الافرنج الملك العادل في الامان فاستمع ثم صالحهم وسلموا الحصن . ولم يكن للكرك شأن كبير قبل الحروب الصليبية ثم غدت عاصمة مملكة يعرف صاحبها بملك الكرك او صاحب الكرك على عهد صلاح الدين ومن بعده الى عهد الجراكسة والغالب ان موقعها الحربي المهم وتوسطها تقريباً بين مصر ودمشق وكانت اذ ذاك حكومتها واحدة هيأ لها ذلك

قال القرمانى : كرك بلدة مشهورة وبها حصن على قمة جبل يقال انه كان دير الروم وجعله المسلمون حصناً فيها قبر جعفر الطيار واصحابه وفيه اسفله وادفيه حمام وبساتين كثيرة وكان من دأب ملوك الترك والجراكسة كلما خلعوا سلطاناً ارسلوه الى الكرك

اما الكرك او قلعتها فهي كانت وما زالت من اعظم حصون سورية ولذلك احتلها الصليبيون وحرس صلاح الدين واسرته ان يسترجعوها منهم لانها مفتاح القطرين

(١) ختلط المثرزي (٢) في تاريخه المسمى باخبار الدول وآثر الأول وهو مما كتب

بل القطر المصري والشامي والحجازي ولذلك تجد ذكرها يتردد كثيراً في التاريخ منذ استولى عليها الافرنج الى ان انقرضت دولة الجراكسة في مصر والشام على يد السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢ هـ .

ولطالما كانت الكرك موعداً للقاء وميداناً لاهراق الدماء وتكافح الناس في جوارها على امتلاكها كفاحاً واعي كفاح يبعث فيه الارواح والاشباح بيع السماح وهاك الآن مثالا من صحف التاريخ المنسية تعتبر بها وتزدجر

قال ابو الفدا في حوادث سنة ثمان وستين وخمسة وفيها سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك . الرقيم هو كما قال ياقوت ايضاً بقرب البلقاء من اطراف الشام عناء كثير بقوله وكان يزيد بن عبد الملك ينزله وقد ذكرته الشعراء

امير المؤمنين اليك نهوي
اذا اتخذت وجوه القوم نصيباً
فكم غادرن دونك من جهنم
يزرت على ثنائيه يزبدأ
تهب الوفود اذا اتوه
على البخت الصلادم والعجوم
اجيج الواهجات من السموم
ومن نعل مطرحة جذم
باكتاف الموقر والرقيم
بنصر الله والمملك العظيم

والموقر حصن بالبلقاء قال فيه ياقوت انه اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق وكان يزيد بن عبد الملك ينزله قال جرير :

اشاعت قريش للفرزدق خزبة
عشبة لاقى القين قين مجاشع
وقال كثير :

سقى الله حياً بالموقر دارهم
وقد نأى من الموقر جملة من المحدثين والنسبة اليها موقري وصرح الشاعر بان الموقر من ارض الشام فقال :

اذنت علي اليوم اذقلت انني
بهايل ثم عصمة الناس كلهم
وقال كثير عزة

اقول اذ الحيان كعب وعامر تلاقوا ولقننا هناك المناسك
جزء الله حيا بالموقر نضرة وجادت عليه الرانحات الهواتك
بكل حيث الويل زهر غمامه له درر بالقسطين مواشك

وفي حوادث سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ان البرنس صاحب الكرك عمل اسطولا
سيفي بحر ايلة (وهي مدينة على ساحل بحر القلزم او الاحمر مما يلي الشام) وساروا في
البحر فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب ^(١) يفسدون
في السواحل وبنفون المسلمين في تلك النواحي فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فربما قط فعمز
الملك العادل ابو بكر ابن ابوب اسطولا في بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين الحاجب
لؤلؤ وهو مشولي الاسطول بديار مصر فوقع بالدين يحاصرون ايلة فقتلهم وامرهم ثم
سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة
وسار لؤلؤ ببقواثرهم فبلغ رابغ فادركهم بساحل الحورا ونقائلوا اشد قتال فظفر بهم
وقتل اكثرهم واخذ الباقيين اسرى وارسل بعضهم الى منى ليخروا بها وعاد بالباقيين الى
مصر فقتلوا عن آخرهم

وفي السنة التالية سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر
فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربيض ^(٢) الكرك
وبقيت القلعة وليس بينها وبين الربيض غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين
طعه فلم يقدر لكثرة المقاومة فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فقصده فلم يمكن السلطان
الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقام في اماكن وعرة واقام السلطان قبالتهم
وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فلم يامتناعه عليه فرحل عنه .

وبعد وقعة حطين كان السلطان صلاح الدين لما سار الى البلاد الشمالية قد جعل
على الكرك وغيرها من يحصرها وخلي اخاه الملك العادل في تلك الجهات يباشر ذلك
فارسل اهل الكرك يطلبون الامان فامر الملك العادل المباشرين بحصارها بتسلعها
فتسلعوا الكرك والشوبك وما بتلك الجهات من البلاد .

(١) عيذاب بالفتح ثم السكون وذل معجمة وآخوه باء موحدة . بليدة على ضفة

بحر القلزم هي مرسي المراكب التي تقدم من عند والي الصعيد « يا قوت »

(٢) الربيض فيما قال بعضهم اساس المدينة والبناء والريض ماحوله من خارج . الاول

مضموم والثاني بالتجريك

قال ياقوت في الثوبك انها لمدينة حصينة في اطراف الشام بين عمان وايلة والقلم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التوماني في تاريخه ان يقدور الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ الى بلاد ربيعة من طي وهي باق والشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالثوبك بقرب وادي موسى فعمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر الى الامام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن وبعد وفاة صلاح الدين ظلت الكرك والثوبك والبلاد الشرقية بيد الملك العادل سيف الدين ابوبكر ابن ايوب

نقدم ان حصن الثوبك كان من جملة الحصون التي يتنافس فيها الفاطميون في هذه الديار وهو على ١٩ ساعة من الكرك يؤيد ذلك ما رواه ابو الفدا (١) سيفه حوادث سنة ٦٢٥ هـ من ان الملك الكامل صاحب مصر ارسل يطلب من ابن اخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الثوبك فلم يعطه اياه ولا اجابه اليه ففسار الملك الكامل من مصر الى الشام بقصد استخلاص الثوبك وغيره .

وفي حوادث سنة ٦٢٩ ان الملك الكامل سار من دمشق الى الثوبك واحتفل له الملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل ابن بكر ابن ايوب احتفالا عظيما بالضيافات والاقامات والتقام وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل بالبحون قرب الكرك وهي منزلة الحجاج . وسيفه سنة ٦٣٣ فموت الملائق بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين عمه الملك الكامل صاحب مصر ففسار الاول الى بغداد ملتجئا الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف فاصح الخليفة بينهما واد الناصر الى الكرك وفي سنة ٦٣٥ جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولي في دمشق مصاف بين جنين ونابلس انتصر فيه الملك الجواد يونس وانهمز الملك الناصر هزيمة قبيحة ونهب عسكره واثقاله ولثامه هذا وقائع مع أسرته وغيرهم ولكن بني ايوب ومن بعدهم على تنافسهم في الملك كانوا بدأ واحدة على اعدائهم الصليبيين حين الحاجة لان هؤلاء لم تكن انقطعت شأفتهم كلها من بلاد الشام

وفي سنة ٦٤٤ سار الامير نحر الدين يوسف ابن الشيخ من قبل الملك الصالح الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فاستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولي

(١) اعتمدنا على تاريخه في وصف ما اثناب الكرك بعد حرب الصليب

عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرّب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفاً بالغاً ولم يبق
بيده غير الكرك وحدها .

وفي سنة ٦٤٧ استولى الملك الصالح ايوب صاحب الديار المصرية على الكرك وفي
السنة التالية ملك النلعين الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين وكان اعتقاله
الملك المعظم نورائشاه في الشوبك فلما قتل هذا باذر النائب عليهما وهو بدر الدين
الصوابي الصالحى قافرج عن الملك المغيث وملكه الحشيش وفي سنة ٦٥٦ انضمت
البحرية الى المغيث صاحب الكرك والتتبع عسكر مصر في غزاة فكانت الكسرة على
المغيث ومن معه فولى منهزماً الى الكرك في اسوار حل ونهبت اثقاله ودلهيزه . وفي
سنة ٦٥٧ حاصر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حماة
الملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته البحرية واقاموا على بركة زيزاء (التي يعرفها
العامه بجبيزة اليوم) ما يزيد على شهرين وفي سنة ٦٦٠ قتل الملك المغيث صاحب الكرك
قتله الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر لانه كتب اجوبة على مكاتبات من التتبع
الى الملك المغيث في اطراهم في ملك مصر والشام ورتب الظاهر امور الكرك وعاد
الى مصر

وفي سنة ٦٨٠ استقر الصلح بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الملك خضر
ابن الملك الظاهر بيبرس صاحب الكرك . وفي سنة ٧٠٨ سار الملك الناصر محمد بن
قلاوون من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز فسار الى الكرك وكان النائب بها جمال
الدين اقوش الاشرفي فعزل سائطاً واحتفل به وعبر السلطان الى المدينة ثم الى القلعة
ولما عبر السلطان على الجسر الى القلعة والامراء ماشون بين يديه والماليك حول فرسه
وخلقه سقط بهم جسر قلعة الكرك وقد حصلت يد فرس السلطان وهو راكبه داخل
عتبة الباب فلما احس الفرس بسقوط الجسر امرع حتى كاد ان يدوس الامراء الماشين
بين يديه وسقط من ممالك السلطان خمسة وثلاثون الى الخندق وسقط غيرهم من اهل
الكرك ولم يهلك من المالك غير شخص واحد لم يكن من الخواص ونزل في الوقت
السلطان عند الباب واحضر الجنويات والحبال ورفع الذين وقعوا عن آخرهم وامر
بهداوتهم فصلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه وكان ارتفاع الجسر الذي سقطوا منه الى
الخندق يقارب خمسين ذراعاً .

ولما تولى الملك الناصر^(١) احمد بن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون في الكرك اقام فيها اياماً في لهو ولعب فأنكروا عليه اموراً لا تليق بالسلطنة فانفق اهل الشام على خلعه وارسلوا الى المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاه الصالح اسماعيل ووردت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشامية بتجريد العشرات وغيرهم الى الكرك وعينوا على معاملتي صيدا وبيروت خمسمائة راجل فذهبوا اليها سنة ٧٤٣ ووجدوا في القلعة ومع السلطان احمد خاقاً كثيراً وقد نصبوا على القلعة في اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة وكان الكركيون يظهرون من باب القلعة ويقاثلون احياناً كثيرة وكان الحصار والزحف مستمراً ونصب المحاصرون على القلعة منجنيقاً يرمي بحجار وزنها خمسة وثلاثون رطلاً .

وكان يحكى عن السلطان احمد انه كان شاباً حسن الشكل عبل البدن وكان يلبس ملبوس العرب ووسع اكمامه على زي الكركيين وكان يظهر لهم انه لبس هذا الزي محبة فيهم

وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعة ويرمي سبعة سهام صيغت نصولها من فضة موشاة بذهب كانت تدل على قوة قوسه وكان اذا اراد ان يرمي السهم رفع يده التي فيها القوس فيسقط كفه من سعة الى كفة حتى يبان شعر ابطه وكان غليظ الذراع ابيض اللون ورأوا له سهماً في حصار الكرك وقد نقش عليه هذان البيتان .

ومن جودنا نرمي العداة باسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
يداوي بها المجرّوح منها جراحه ويشري بها الاكفان منها قتيلاها
وها للامين بن هرون الرشيد وكان لما حضره عبدالله بن طاهر في بغداد
بعساكر اخيه المأمون صنع نصول الفشاب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمائة ضعفت حال السلطان احمد والكركيين وكان زرعمهم قد رعي رغاء التركان والعربان وكان اكثر دوابهم قد نهبت وانقطع عنهم الجلب وحاطم في ضعف واخذت قلعة الكرك سنة خمس واربعين وسبعمائة واخذ سلطانها وقتل وذلك بعد ان تجمعت عساكر الشام على حصارها زهاء سنتين

وبعد فليس في التاريخ الحديث ولا سيما من بعد دخول الدولة العلية الى هذه

البلاد شبة ينقل ليفيد في حالة بلاد الكرك اللهم ما كان من انتقاض اهالي هذه البلاد على ابراهيم باشا المصري لما فتحها ايام دخوله الى سورية في اوائل القرن الماضي ونظم ادارتها وجعل لها حامية من جنده فلم يرض الاقليل حتى تمرد السكان وقاموا فذبحوا الحامية والموظفين عن بكرة ابيهم حتى انهم قتلوا كتيبة من جنده كانت آية الى مصر فضلاوها في الطريق واهلكوها الا قليلا كما ارتكبوا مثل هذا المنكر هذه المرة ولم يفعلوا

ويؤخذ بالقرينة ان معظم البلاد اصبحت بادية بعد هذه الواقعة لغلبة الجهل واختلال الادارة وظلم العمال وكذلك حال القرى يعرف ذلك كل من طاف في اقصية اللواء الاربعة فانه يشاهد خرباً ومياهاً سائبة فقد كان في قضاء الصلت وارض بني صخر نحو ثلثائة قرية وعدة مدن عامرة وليس فيها اليوم سوى خمس عشرة قرية عامرة بعض الشيء

وبعض الحرب في اللواء بيد العرب المزارعين وبعضها شاغرة وآخر ملك للحكومة . وبدو الكرك كثيرون فنهزم في قضاء الصلت الدجاجة^(١) والابديات وابي نعيم والشوايكة والازايدة والابونندي والعجامة والمطيريون والحرافيش وراسفة والعدوان والنمر والكائد والصالح والعباد والمناصير والفقهاء والزبودوازيادات والجروم والمشاخنة والقاعور والربيع وبنو صخر وهم يقسمون الى الزبن والهيكش والحفيرة والقبعين والغايز ومجموع بيوتهم نحو ٤٥٠٠ بيت واشهرها بنو صخر وهي ٧٠٠ بيت والعدوان وهي ٥٠٠ والعباد ٨٠٠ والارض التي تنزلها هذه القبائل شرقي نهر الشريعة وغربي البادية وشمالا وادي الوالا ووادي التمد وجنوبا ماء الزرقاء والحدود الفاصلة بين عجلون والصلت وسكان القضاء كله نحو اربعين الفا وهو اعمر اقصية الكرك

وفي قضاء الطفيلة نحو عشرين الفا من النفوس وهذه^(٢) اسماء عشائرها : الحميدات وهي اعظمها مؤلفة من خمسمائة بيت وعبيدين تقرب نفوسها من الحميدات والبحارات مثلها ايضاً والكلالدة والوهيبات والهلالات وعشيرة المتاعين وهي رحالة نقضي اكثر ايامها في الجوف بالقرب من نجد وقنزل القضاء بعض اشهر بين محطة الجروف ومدينة الطفيلة وفي هذه المدينة ١٢ الفا من السكان الحضر .

وفي قضاء معان عشائر وانحاذ واحما الحويطات ومنها الدعمانية وابوتاية والمطالقة ومنها

(١) خليل رفعت افندي الحوراني

(٢) الدكتور محمد خير القبانى

البدول والشوبك والتعيمات والديابات والعامرة والمراعية والدرواشة والعطون والزوايدة والطقاظة والعمارين والشابدة والسعيدين والراجفة . وفي قضاء معان أيضاً بنزل بنوعطية وهم يتسمون سبعة أقسام منهم المزايدة والخضرة والشوبث والهراسة ومنازلهم من المدورة الى تبوك

أما عشائر قضاء الكرك^(١) فكثيرة وهي اغوات . اللصاية . بنو حميدة . بياضة . جلامدة . حباشنة . خرشة . خنزيرة . دنليات . كفلاوين . ضمور . حجابا . سليط . شمالية . صرايرة . صعوب . طراونة . العمزو . عراق . عكشة . حجازين . غورالصافي . غور المزرة . فقرا . قطاونة . قضاة . كثرربة . معايطه . بحالي . مبيضين . مصاروة . مدانات . بقاعين . نوايسة . نعيمات . هلسة

هذه فرق عشائر الكرك وأهمها وأكثرها عدداً بنو حميدة . سليط . حجابا حباشنة . ضمور . صرايرة . طراونة . كثرربة . معايطه . وتنقسم عشيرة بني حميدة الى ثلاث فرق (حمولات) وهي ابو برزواين طريف وابو ريحة . وتنقسم ابو برزواين الى فرقتين وهما الفواضلة والتوايمة . وكل منهما ينقسم الى اربع جماعات لكل جماعة شيخ . وتنقسم عشيرة ابن طريف الى ست فرق وهي ابن طريف . رواحنة . الحيصه الضرابية . الشخابية . شقور وحمادين . بصيرة وتنقسم عشيرة ابي ريحة الى اربع فرق وهي الشروانة وحواطة . هواشة . اللوانسي . قواسمة . وتنقسم عشيرة سليط الى فرقتين بحارات ورجيلات . وتتألف عشيرة الحباشنة من العرود والجمافرة . وتتألف الضمور من محمود وسمجات والطراونة من عيال جبرين وعيال جبران . وجماعة وعيال عودة .

أما كثرربة فهي قرية يسكنها فرقتان وهما القراللة والرماضنة ويتألف القراللة من زغيلات سالم وزغيلات سعيد وسلامات ومهاينة ومخائرة . ويتألف الرماضنة من الرواشدة والخثانة وشواورة وكسابية ومطارنة وجوازنة . وتتألف عشيرة المعايطه من فرقة ساهر ويوسف . ويتألف التعيمات من العبادلة والجعافرة والاحامدة ويتألف الحجابا من محموديين وهدايات وهؤلاء الحجابا لا يزرعون ولا يفلحون بل هم بادية . والعشائر التي لها شأن عند الحكومة هي . الحجابي . طراونة . ضمور . معايطه .

سرايرة • مدائن • حلة • اما العثار التي لها نفوذ على العثار لها هي الجالي •
سليط • حجابا • طراوة • بنو حميدة

هذه اسماء العثار وقرىها ومكانتها اما ما كن نزولها فان فرس الي ربيعة • الي
بريز • نضامة • الحيص • الرواحنة من عشيرة بني حميدة وسليط وكعانة والقرى
كلهم ينزلون تحت الخيام في ناحية ديبان من المال • مركز اللواء • وسدود ديبان هذه
من القبلة نهر الموجب ومن الشمال اللب ومن الغرب بحر لوط ومن الشرق ام الرصاص
في بقعة من الارض سهلية جبلية يبلغ عرشها ربع ساعات واولها سبع ساعات • ولا تجد
شرقي ام الرصاص ارضا تزرع ومركز ناحية ديبان وادي الوالا وهو على احدى عشرة
ساعة عن مركز اللواء •

اليك على الجلة اسماء العثار المزارة وهي معدودة بادية رعاة سيح هذا اللواء
والحكومة تستوفي منها الى اليوم عشرا مقطوعا وسراجا مقطوعا وودبا (تعداد الجبال
وتعداد الغنم) مقطوعا اي انها تفرض على كل حولة او عشيرة قدر ما من المال وتطالب
به من وجدته منهم ليكون بذلك مجال لظلم الضعاف من هذه القبائل يرهقهم مشايخهم
وعمال الحكومة وهو لا يشدون في الاكثر في اعانت من يظهرون به او يجتازون
منزله وقد يأخذوا بحريرة جاره او اخيه فان بعض اولئك البدو قد يهربون في بعض
سني المحل او تفرض آخر فلا يلبث عمال الدولة ان يستولفوا من ابناء تلك القبيلة ما هو في
ذمة الهاربين وكثيرا ما نقاضت الحكومة من واحد ما يمرض على خمسة من عشيرته •
مثال ذلك ان العامرة من الحويطات كانوا اغنياء على عهد تأسيس اللواء اي منذ سبع
عشرة سنة فلم تمض بضعة سنين حتى اصبحوا افقر الفقراء بذلك القاعدة السخيفة سيح
الادارة وتفرقوا تحت كل كوكب ومنهم من انقلب الى حسمه وغرة او دخل في البادية
الى نجد والشرق

نعم ان الحكومة حتى الآن لم تعدل لعمران اللواء عملا من شأنه رفع الحيف
وكشف الظلمات لتعمر البلاد بل على العكس انت ما عذب به عمرائها واهلها سكانها
قيلا من ان ترسل لهم وعائلا يعلمونهم بلغتهم بعثت اليهم في الدور البائد تسعة من الانراك
تحت اسم وعائلا لا يعلمون العربية فاشتغلوا سنين بالتمس وبث المفاصد وبهذا تأصبت
الثقرة في قلوب القوم بدلا من تأليف شادهم وساعد على ذلك في الاكثر الخبط

طبقة أكثر الموظفين الذين يعيشون في أمور الإدارة وبذلك زاد الاهلون مراناً على الاحتمال تخلصاً بزعمهم من فساد الحال وركنوا الى شيوخهم على ظلم فيهم أكثر من حكومتهم التي تريد الخير بهم على الجملة وان كانت لم تهتد الى الطريق حتى الآن في اختيار الجياد من العمال

كان الرجاء معقوداً بتأسيس حكومة الكرك ان تغدو عمالتها كلها بعد هذين العقدين من السنين جنة لما خصتها به الفطرة من المواهب وتقلب تلك الخيام السوداء كما قال احد العارفين دوراً قوراء فاصبحت بسوء الادارة بيوت ارزاء ولا واء .

كاد اولئك البادية يضعون شفتهم بالحكومة يوم تولى امرهم اداري بقيم نصاب العدل ويرفع عن عائقهم عدوان زعمائهم الجاهلين ولكن جرعة الامر على عكس ذلك فاخذ السكان يستضعفون حكومتهم خصوصاً بعد ان قاموا منذ زهاء سنتين وهجموا على دار الحكومة وكان بلغهم انها تريد احصاء نفوسهم والحقيقة انها كانت في صدد انتخاب نائب منهم يمثلهم في مجلس الامة . ولو احسن متصرفهم اذ ذاك التصرف وصححت عنزيمه الحكومة على ازال العقوبة الشديدة بمن شقوا عصا الطاعة لما حدث اليوم ما حدث فخرّب العامر والغامر وتضرر الحاكم والمحكوم عليه .

فان يوماً في فتنه يخرب مالا يعمر في سنتين . وعدل ساعة يحبي الارض اكثر من كل قوة في غير محلها . فوا اسفاه لبلاد مثل هذه تؤوي الملايين من البشر يعيشون من تربتها سعداء وهي اليوم لا ينزلها سوى الوف لا يستفيدون منها ولا يفيدون وها قد زادت اليوم فوق خرابها خراباً . كانت بالامس ممالك ذات منعة وهي الآن بما تحيفها من الدمار عبرة لمن اعتبر فسحان من يشقي ويسعد ويغني ويفقر



رثاء تولستوي

(تولستوي) تجري آية العلم دمعها
 وشعب ضعيف الركن زال نصيره
 ويندب فلاحون انت منارهم
 يعانون في الاكواخ ظلمة وظلمة
 تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى
 وبأسى عليك الدين اذ لك ابه
 أبكفر بالانجيل من تلك كثره
 وببكك إلف فوق (ليلي) ندامة
 تناول ناعيك البلاد كأنه
 وقيل تولى (الشيخ) في الارض هائما
 وقيل قضى لم يغن عنه طيبه

اذا أنت جاورت (الماري) في الثرى
 او اقبل جمع الخالدين عليك
 حجاج تحت الارض عطرنا شذى
 بين تباهي بطن (حواء) واحتوى
 فقل يا حكيم الدهر حدث عن البلى
 أحطت من الموق قدما وحادثا
 طوانا الذي يطوي السموات في غد
 نقادم عهدانا على الموت واستوى
 كأن لم نضق بالامس عني كنيسة
 ارى راحة بين الجنادل والحصى
 فظفرنا بنور الموت كل حقيقة
 اليك اعترافي لا لنس وكاهن
 فزهدك لم يتكره في الارض عارف

وجاور (رضوى) في التراب (ثبير)
 وغالى بتقدار النظير نظير
 جناهن مسك فوقها وعبر
 عليهن بطن الارض فهو نفور
 فانت علم بالامور خبير
 بما لم يحصل منكرو ونكير
 وينشر بعد العلي وهو قدير
 طويل زمان في البلى وقصير
 ولم يؤوفي دير هناك طهور
 وكل فراش قد اراح وثير
 وكناكلانا في الحياة ضرير
 ونجواي بعد الله وهو غفور
 ولا متعال في السماء كبير

بیان یشم الوحي من نفعاته وعلم کعلم الانبياء غزير
 ملکت سبيل المترفين ولذني بنون ومال والحياة غرور
 اداة شتافي الدف في ظل شامق وعدة صبي جنة وغدير
 ومنعت بالدنيا ثمانين حجة وانصر ايامي غنى وحبور
 وذكر كضوء الشمس في كل بلدة ولا حظ مثل الشمس حين تسير
 فمراعي الا عذارى اجروني ورب ضعيف تحتني فيجير
 أردت جوار الله والعمر منقض وجاورته في العمر وهو نصير
 صبا ونعيم بين اهل وموطن ولذات دنيا كل ذاك نذور
 بهن وما يدرين ما الذنب خشية ومن عجب تحشى الخطيئة حور
 اوانس في داج من الدبر موحش والله انس في القلوب ونور
 واشبه طهر في النساء بمریم فتاة على نهج المسيح تسير

تسألني هل غير الناس ما بهم وهل حدثت غير الامور امور
 وهل أثر الاحسان والرفق عالم دواعي الاذی والشرفیه کثیر
 وهل اسلكوا سبيل المحبة بينهم كما يتصافى أسرة وعشير
 وهل آن من اهل الكتاب تسامح خالق باآداب الكتاب جدیر
 وهل عاجل الاحياء بؤسا وشقوة وقل فساد بينهم وشورور
 قم انظر وانت المالى الارض حكمة أجدى نظم أم افاد نثیر
 اناس كما تدربى ودنيا بحالها ودهر رخى نارة وعسیر
 واحوال خلق غابر متجدد تشابه فيها اول واخیر
 تمر تباعا في الحياة كأنها ملاعب لا ترخى لمن ستور
 وحرص على الدنيا وميل مع الهوى وغش وافك في الحياة وزور
 وقام مقام الفرد في كل امة على الحكم جم يستبد غفیر
 وحوار قول الناس مولى وعبدہ الى قولم مستأجر واجیر
 واضحى نفاذ المال لا امر في الوری ولا نهى الا ما يرے وبشیر
 اساس حکومات به وممالك وبذعن اقبال له وصدور

وعصر بنوه في السلاح وحرصه
ومن عجب في ظلها وهو وارف
ويأخذ من قوت الفقير وكعبه
ولما استقل البر والبحر مذهبا
على السلم يرب ذكرها وبدير
يصادف شعبا آمنا فيغير
ويؤوي جيوشا كالخصى ويمير
تعلق اسباب السماء بطير
احمد شوقي

رثاء الأمير الشعر في الشرق وانبرى
ولست ابالي حين اريك بعده
فقد كنت عوناً للضعيف وانني
ولست ابالي حين ابكيك للورى
فاني احب التابفين لعلمهم
دعوت الى عيسى فضجت كائنات
وقال اناس انه قول ملحد
ولولا حطام رد عنك كبادم
ولكن حماك الدم والرأي والحجى
اذا زرت رهن الحبسين^(١) بحفرة
وابصرت انس الزهد في وحشة البلى
وايقنت ان الدين لله وحده
فقف ثم سلم واحتشم ان شيخنا
وسائله عما غاب عنك فانه
يغيبك الاعشى وان كنت مبصراً
كأنني بسمع الغيب اسمع كل ما
يناديك اهلاً بالذي عاش عيشنا
قضيت حياة ملوها انبر والتقى
وسموك فيهم فيلسوفاً وامسكوا
وما انت الا زاهد صاح صيحة

لمدحك من كتاب مصر كبير
اذا قيل عني قد رثاء صغير
ضعيف ووالي في الحياة نصير
حوتك جنات او حواك سمير
واعشق روض الفكر وهو نصير
وهو لها عرش وماد مرير
ونال اناس انه لبشير
لفقت به ذرعاً وساء مصير
ومال اذا جد النزاع وفير
بها الزهد ثاو والدكا سثير
وشاهدت وجه الشيخ وهو متير
وان قبور الزاهدين قصور
مهيب على رغم الفناء وقور
علم بامرار الحياة بصير
بما لم تخبر احرف وسطور
يجيب به استاذنا ويحير
ومات ولم يدرج اليه غرور
فانت بأجر المثقين جدير
وما انت الا محسن ومحير
يرن صداها ساعة ويطير

سلوت عن الدنيا ولكنهم صبا
 حياة الوري حرب وانت تربدها
 ابت سنة العمران الا تناحرا
 تحاول رفع الشر والشر واقع
 ولولا امتزاج الشر بالخير لم يتم
 ولم يبعث الله النبيين للهدى
 ولم يعشق العلياء حر ولم يسد
 ولو كان فينا الخير محضاً لما دعا
 ولا قيل هذا فيلسوف موفق
 فكيف في طريق الشر خير ونعمة
 الم تر اني قت قبلك داعياً
 اطاعوا ايديهم وسقراط قبله
 ومت وما مانت مطامع طامع
 اذا هدمت للظلم دور تشيدت
 افاض كلانا في النصيحة جاهداً
 فكيف قيل عن كهف المساكين باطل
 وما صدعن فعل الاذى قول مرسل
 اليها بما تعطيههم وتمير
 سلام واسباب الكفاح كثير
 وكذا ولو ان البقاء يسير
 وتطلب محض الخير وهو عسير
 دليل على ان الاله قد ير
 ولم يتطلع للسري امير
 كريم ولم يرجو الثراء فقير
 الى الله داع ان تبليج نور
 ولا قيل هذا عالم وخبير
 وكف في طريق الطيبات شرور
 الى الزهد لا يؤي الى ظهير
 وخولفت فيما ارثني واشير
 عليها ولا الى القياد ضمير
 له فوق اكتاف الكواكب دور
 ومات كلانا والقلوب صخور
 وكف قيل عن شيخ المعرة زور
 ولا راع مفتون الحياة نذير
 حافظ ابراهيم

